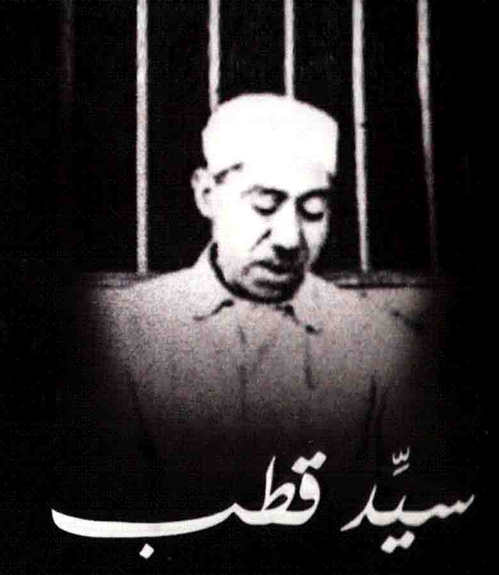


سيّد قطب

1906 - 1966





أنَّ نفسي ليس ترضى: أيُّ نفسٍ تقبلُ العيشَ كسكّانِ القبور؟



﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس –بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)

Correspondent bank : SWIFT:COBADEFF	**COMMERZBANK / FRANKFUR**
Beneficiary bank : SWIFT : BBSFSYDA	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI (MARKAZ AL NAKED/BBSF)
Name of the final beneficiary :	**(0125719/BBSF)**
Account number of the final beneficiary :	

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank : SWIFT : BSFRSARI	**BANQUE SAUDI FRANSI**
Beneficiary bank : SWIFT;BBSFSYDA	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF (MARKAZ AL NAKED/BSF):
Name of the final beneficiary	**(0125719/BSF)**



الناقد الثقافي

الدراية لا الرواية

2008

الطبعة الأولى 2008م

ديوان الأعمال الشعرية الكاملة

مع دراسة في أشعار سيد قطب.

المؤلف سيد قطب.

تقديم د. حسن حنفي.

فُسح في الجمهورية العربية السورية

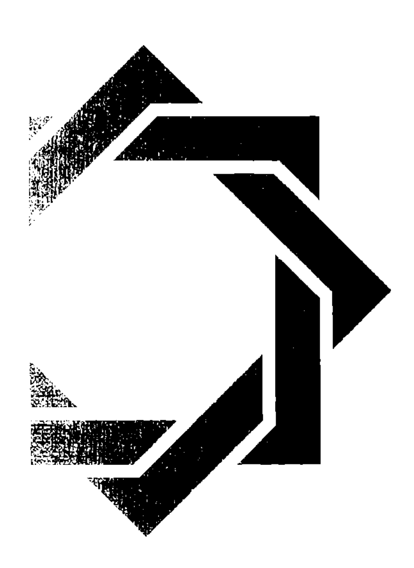
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927

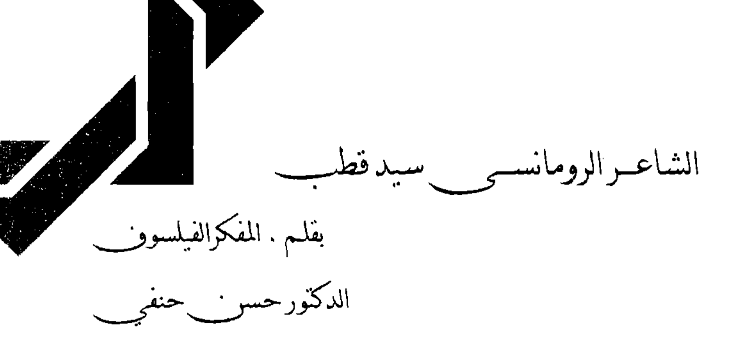
بتاريخ 2008/3/4م

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي





الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفني فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء ١٧/٨١][1].

[1] – حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٢[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤.

كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبئية نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ – له فى عام ١٩٣٤ – ٤١ – قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

۞ وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

[1]- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتُون الحقد. من طرفي الأمة وحناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأيّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صَاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وَراقبتُ خوالجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاته وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكنا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راض عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيًا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ، وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكارِ وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[3].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً((١)) حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلَهما غذاءً، يُقوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعتَه؛ إلا إذاَ قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور ماديةً، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[2] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأت عَن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالا...

أمـــا ما يســتحق الالتفـــات فهو أنه يُفـــرق بعد ذلك بـــين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنســـان، وبتعبـــير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلْهِمَة -وليســـت هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دوَن شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولَوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغرقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائق جلَّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2] فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسـحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية — عند الشاعر — هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبهُ الموتَ سكرةً ومن حوله موتٌ نَمتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرّةٍ فهاتيك أشلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرضٌ لما لقَيتْهُ الأرضُ في الجَولَانِ

وإنك طلسَمُ الحياة جميعها وصورتُها الصغُّرى بكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِتْره فيختمُ سفرَ الناسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كســكّانِ القبور   في ربيـــعِ العمــر؛ في العهــد النَّضِرْ

آهِ لو أَســطِيعُ للماضي الحسيرِ   رجعـــةً، من بعد مــا جــاء وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْيَا الشَّبابُ   نابضـــاً بالحـــبّ؛ جيــاشَ الأمــاني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب!   مُسْــتعزاً فيـــه حـــتّ بالثّـــواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل   أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ   فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليـــومَ آســـفُ للدَّقائـــقِ تنطوي   من عمــــريَ الغالي الثّمينِ الطّيبِ

واليـــوَم أرقُبهـــا وأرقـــبُ خَطْوَها   فأعيشــها مثلـــين بعـــد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغناءٌ عن الخلودِ غرامٌ هو رمزٌ ووَصْلةٌ للبقاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثَارَةٌ تنسابُ في خَلَد وفي أَوْهامي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيتُ ما أعيا المقاديرَ إنّما وجدتُكَ رمزاً للأماني الصّوادفِ
فأنت عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنت امتدادي في الحياةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلُح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسِّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــك في الطُّفولــةِ غافلاً   عمَّا حويْتَ من الوجود السّـــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري   رمــزاً أُحيــطَ بغمْــرةِ الإبهــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْـــتُ في هذا الخَرابِ وأنـــا أسْـــألُ: مـــا شَـــأني هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطلِعَتْ)) دون إرادها؛ و لم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

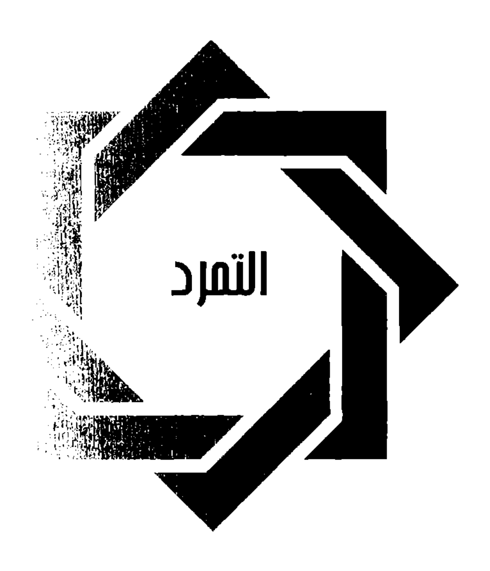
ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.



إن نفسيِ ليس ترضى: أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّان القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيـــني أنْـــتِ يـــا نَفْسِـــي فما أفهـــمُ العَالَـــم أو يَفْهَمُنِـــي
إنـــني أنكرَتُـــه اليـــومَ كمـــا أنـــه بالأمـــسِ قَـــدْ أَنْكَرَنِـــي
لم أجـــدْ في الكـــون إلا أَلَمـــا إنمـــا الوَحْـــدَةُ أصلُ الشَّـــجَنِ

* * *

وَحْـــدَةُ الأرواحِ أَنْكَـــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَـــى وتَهوُنْ[1]
أيُّ بُؤْســـي تســـتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّـــكُونْ[2]

* * *

لم أجـــدْ قلبـــاً إذا ارتعـــتُ خَفَق خفقة الحُـــبِّ بوحْيً صـــادقٍ[3]
وإذا شـــذَّ فـــؤادٌ فَصَـــدَق أتبـــعَ الحُـــبَّ بِغَـــدْرٍ مَاحِـــقِ[4]
وفـــؤادي يَتنُـــزى° في حَـــرَقٍ وَاجِفـــاً مِنْ كلِّ حَـــدسِ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَـــدْ سَـــمَتْ رُوحِي إليه وعبـــدتُ الطُّهْـــرَ فيـــه والجَمَالْ
ووقفـــتُ النفـــسَ والفكـــرَ عليه والأمـــانيَّ وأطيـــافَ الخَيـــالْ
ورأى مِـــني أســـيراً في يَدَيـــه فتولَّـــى لاهِيـــاً عـــني ومَـــالْ

* * *

لم أجـدْ في الكـونِ ما أنْشُدُه   مَثَـلاً أَعْلى فـأرْوِي ظَمَئي

وإذا صـوّرتُ مـا أقصـدُه   بُهِـتَ النـاسُ لهـذا النَّبَـأِ

وتولّـى بعضُهـم يَنْقُـدُه   جاهـداً والبعضُ يَـروِي خَطَئِي

* **

وتقاليـدٌ وأسْـرَى يَعْبُدُون   هـذه الأصنـامَ مُغْلُـولي الفِكَرْ

وإذا ثـرُتُ عليهـا يَسْخَطُون   ويقولـون تَمـادَى وكَفَـرْ!

وَيْحَهـم مـاذا تَراهـم يبْتَغُونَ؟   أَتُرى نحيا شُخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكـرتُ الحُبَّ قُدْسِـياً نَقِيا   حسَـبُوه من خَيـالِ الشُّعَراءْ

إنـني أُدْرِكـهُ رُوحـاً خَفِيـا   يَهْبِـطُ الأرضَ ومَأواه السَّـمَاءْ

وهـم يَبْغُونَـه إثْمـاً فَريـا   يُرْتَـدَى في أثْـوابِ البغـاءْ!

* * *

أَتُـرى أحيـا بُـروحٍ لا تَحِس   وفؤادٍ ليـس يَدْرِي مَا الشُّعورْ؟

أكتمُ الأنفـاسَ إن جَالتْ بحِسّ   ثُمَّ أبْقَـى صخرةً بـين الصُّخُورْ؟

إِنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ   تقبَـلُ العيـشَ كسُكَّانِ القُبُورْ؟

حدثيـني أنـتِ يـا نفـسُ إذَنْ   واتركـي العَالَمَ في الكَـوْنِ يَمُوجْ

واعشَـــقي كلَّ جمَــالٍ يُفتَتَـــنُ   واضِـــحِ الطَّلعـــةِ بَسَّـــام بَهيـــجْ
وخُـــذِي مَا شِـــئتِه مـــن كلِّ فَنٍّ   ودَعِي مَنْ هَـــاجَ في الأرض يَهيج!

* * *

حَلِّقـــي يـــا نفـــسُ في كلِّ فَضَاءْ   واهبِطي بـــيَنَ الأقاحـــي والزُّهُورْ
واسمَعي ما شـــئتِ مِنْ عّذْبِ الغنَاءْ   حينمـــا تَهْتِـــفُ باللّحْـــن الطُّيورْ
إنمـــا الكـــونُ ومَـــنْ فيـــه هَبَاءْ   بعدمَا يَرْضَى عـــن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثـــي يـــا نفـــسُ إني لَســـميعْ   إنْ لَهـــا النـــاسُ ولم يَسْـــتَمعُوا[1]
وَصِفي إحساسَـــكِ السَّامي البديعْ   ودَعِيهم حيـــثُ هُمْ قَـــدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفـــاظُ أعيـــتْ، فالدموعْ   فـــإذا جَفَّـــتْ، فخفْـــقٌ يُسْـــمَعُ

* * *

أقفـــرَ العَـــالمُ مـــن كلِّ سَـــميرْ   يُبْعِدُ الوَحْشَـــةَ عَنّى غيرَ نَفْســـي
فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شـــعورٍ   ولتكـــنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لأُنْسِـــي
وَحْـــدَةٌ فيهـــا هُدوءٌ وســـرورْ   ومناجـــاةٌ، فيا نَفْسِـــي لتأسّـــي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب حائر! *

أحيــاةٌ أمْ نــارُ الجحيــم بِلظَاهَــا الهائــج المُسْــتَعِرْ؟[١]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيــاتي فَــوقَ مَــا في سَــقَرْ!

* * *

آه. لا شَــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريــدُ الضعــفَ. كلا. لا أريــدْ
ســوفَ لا يظهرُ مــني مَاكَمُنْ فليشــدَّ الخَطْــبُ إنّي لَشــديدْ[٢]

* * *

ولمن أشــكوُ إذا شئتُ الشّكَاه؟ ولمن أســطيعُ إيضــاحَ شُــعوري؟
أيــنَ مَن ينظــرُ منّي مَــا أراه في شــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْــرُبي عَــني بعيداً يــا حَيَاتي قــد كَرِهــتُ العيشَ في جَــوٍّ قَذرْ!
أُغْربُــي محفوفــةً باللعنــاتِ آبعُدي عن سَــاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![٣]

* * *

لا فِــراراً من جهــادٍ كالجَبَانِ لا. فمــا كنــتُ جَبَانَــا أَحْــذَرْ!
إنمــا أَنْــتِ ســبيلٌ للهــوان لســتُ أَرْضَــاه ونَفْسِــيَ تَشْــعُرْ

* * *

---

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه ، ضجر ضاق وتبرم

أأنَاسِـــيًّا أرى أم حَشَـــراتْ شَـــوَّهَتْ من طَلَعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينمـــا أَنْفُسُـــهم رِجْسٌ يَســـيِلْ!

* * *

حَقَروا الكَـــونَ وأغراضَ الحياةْ حَســـبُوها دَنَســـاً في دَنَـــسْ
وصَغَـــاراً ليـــس يَرْضَـــاه إلـــهْ وَهَـــبَ الأرواحَ نُـــورَ القَبَـــسْ![1]

* * *

إنَّهم لَـــم يَعرِفُـــوا معنى الجمال إنّهـــم قَـــد جَهِلُـــوا سِـــرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيـــفُ الكمال لائحـــاً يهفُـــو، تَولَّـــوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُـــوا العيشَ طَعاماً وشَـــرَاباً ورَواحـــاً حيـــثُ شَـــاؤوا وغُدُوَّا
أنفسٌ كالكهـــفِ ما زالت خَرَاباً من شـــعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّـــموّا

* * *

فـــإذا حدثتَ عـــن طُهْـــرٍ بديعْ وشـــعورٍ يَغْمُـــرُ النفسَ بَـــراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَـــافِلَ الشـــأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما اســـتطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة

٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَرُوا العِفَّةَ والحِسَّ البَراءْ   حَقَرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُومْ
حَقرُوا الإخلاصَ محْضاً والوفَاءْ   ورَأَوْا في النفس مَحْيَاها الذَّمِيمْ

* * *

أئِذا ما أخلصَ الودَّ فُؤادٌ   لفؤادٍ مُخْلِصٍ، فَائتلَفَا
لم يكنْ ذلك إلا لِفَساد   يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّرَفا؟[٣]

* * *

لا. فما أقْفَرَ هاتيك النفوسْ   لا. فما أجْمدَ ذياك الشُّعُورْ
إنَّ وَجْه الكونِ مُغْبَرٌّ عَبُوسْ   بِهمُو. فَلْيَغْرُبُوا عنه يُنِيرْ!

* * *

١- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهبْ وخلِّفني هنا متألماً لا تلقني سمحاً ولا مُتجهِّما

اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتِي ويَبُضُّ قلبي من قرارتِه دَما[1]

اذهبْ فلن أشكو إليك عَواطِفي يوماً ولن ألقاكَ إلا أَبْكَمَا

أرخصتَ حُبِّي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْقَ مَكْبُوحاً إِذَنْ فَتكتَّمَا

إن كانَ بَثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسِي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ والعيشُ بَعْدَك صَار صُلْباً عَلْقَما

سَأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائِراً وأهيمُ في وَادِي الأسَى مُتألِّمَا

ويُخيم البؤسُ المُمِضُّ فلا أرى إلا شَقَاءً في الحياة مُخَيِّمَا[2]

لكن سَأكتمُ ما تُكِنُّ جَوانحي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[3]

* * *

واويلتَاه لقد أهنْتُ عَواطِفي وحسبتُها عبثاً يُمَجُّ مُذَمَّمَا[4]

وأراكَ تَأبى أن أكونَ مُتابِعاً لكَ في الغُدوِّ وفي الرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، ينز.

٢- الممض: المؤلم من أمضَّهُ الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَـــاء، فما أطيـــقُ تَبَذُّلاً   مني ولســُت أطيــقُ منــك تَبرُّمَا

لك ما تَشَــاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُــو عَطْفَــه مُسْــتَرْحِمَا

وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكي   أَلَمِـــي وأبْـــدُو صَابِـــراً مُتَبَسّـــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدين وكانَ لي   أمـــلٌ حَطَمْـــتُ قِوامَـــه فَتَحطَّمَا

أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش   شَ الحـــُّب فينَـــا طَاهِـــراً ومُكَرَّمَا

أمَّـــا وقَـــد أَرْخَصْتَـــهُ وأهنْتَـــهُ   ورَأيتـــهُ إِثمـــاً لديـــكَ مُحَرَّمَـــا

فليذهَـــبِ الأمَـــلُ الـــذي أمَّلْتُه   حِينـــا وعِشْـــتُ بظلِّـــه مُتَنَعِّمَـــا

سَـــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أمـــوتَ بِـــه شـــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيدِ فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستَبِقْ للصِّرَاعاتِ مِنْ جَدِيدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّبَاه ثم تَهْوِى إلى السُّفُوحْ
شارداً تَقْطَعُ الحيَاه في التَّعِلَّاتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفَجأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجَأُ الرَّجَاءْ
لُعْبَةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرَةٌ أَنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الرَّمَادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرَقْ والعَقَابِيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السّــحِيقْ

فــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خِلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأمْــنِ والقَــرَارْ

فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشَــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرِح وترك لهوانه على الطريق

٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطِلعاً حُلْمِي القَدِيمْ

فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ

قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خَجلاً

قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]

قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهديَ ذاكْ؟

منذُ كَمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ

قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى

قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرّتْ خُطَاكْ

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسّي؟

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!

أتُرى ذاكَ الذي نَعْرِفُه؟

قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[2]!

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم : الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضِي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بِالنُّواحْ

والأفقُ مخضوبُ الأديمِ، وقد تَأذَّنَ بالرَّواحْ[١]

أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟

وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشباب، فويحَ أيامِ الشبابْ!

لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[٢]

لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ

والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهتَانِ لاَهِفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[٣]

وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلّعَ في قُنوتٍ[٤] للسَّماءْ[٤]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م

١- الأديم: بياض النهار.

٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)

٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِي الظِّماءْ؟!

صَمْتُ الخريف يَلُفُّني وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنِّي

ما عَادَ يُوقظُني نِداؤك خِلْسَة مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّي!

* * *

هَذِي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

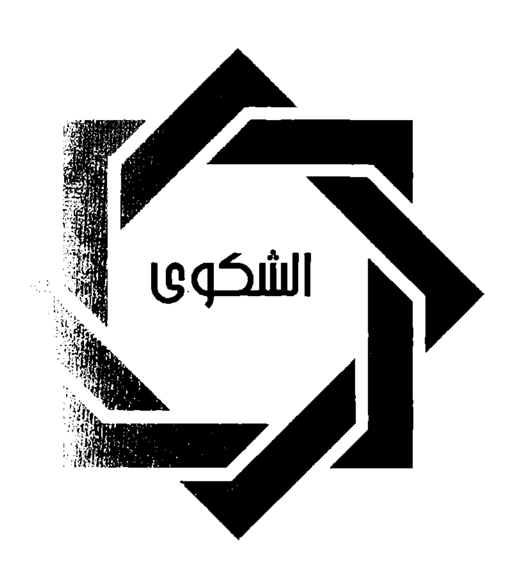
شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تِشعْر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأَشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة



لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْني ولا تَنْفُسْ عَليّ مَواهِبي　خُذْهَا وخُذْ ألمي بها وَمَتاعِبي[1]

دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنعَّماً　بمواهب مَلَكتْ عليَّ مَذَاهِبي

أنتَ الخَلّي فخلّني وعَواطِفي　آلمت وُجْدَاني فَلَسْتَ بِصَاحِبي

دَعْني أعيشُ كما يَشاء لِيَ الأَسَى　لا كنتَ مِثْلي. لادَهَتَكَ نَوائبي

إني شَقِيٌّ لو علمتَ دَخائلي　فَدَعِ المظَاهِرَ لا تَرُعْكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشّعرُ من نِعَم الحياةِ عَرَفْتُه　وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[3]

الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ　ألماً وَوَجْداً في حنينٍ ذَاهِبِ[4]

مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم　شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبِي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضي　مِنها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالبِ

والشاعِرُون تَؤزُّهم أدْرانُها　يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد

حِـــسٌّ أرقُّ مـــن الأثـــيرِ يُهيجُه   ما قـــدْ تمرُّ عليـــه مَـــرَّ اللاعبِ[٣]

وهي الحيـــاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـــعورُه   ألمٍ وأن يُكَثّـــفَ° فَلـــذةَ رَاغـــبِ[٣]

* * *

مَنْ لِـــي إذَا جَنَّ الظـــلامُ بَهْدأةٍ   كالهادئـــينَ وَمَـــنْ يُطَمْئِـــنُ جَانِبِي

أنـــا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـــاهدٍ   تُلْهِـــي فؤادِي عـــن أعَـــزِّ رَغَائبِي

الليلُ يُشْـــجِيني بِرائِـــعِ صَحْوِهِ   وكواكـــبٌ يَغْرُبْن إثْـــرَ كَواكبِ[٤]

والبـــدرُ يُوحِي لِي بســـرِّ طوافِه   مُسْتَوْحِشـــاً لم يأتنـــسْ بِمُصَاحِبِ

والحُسْـــنُ يَدْعُـــونيِ إليـــه فأنثني   ويَصُدُّنِـــي عنـــه بِصَفْقَـــةِ خَائبِ

* * *

البائِسُـــون إذا سَـــمِعْتُ أنينَهم   أحسســـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبِي

والبَاسِـــمُون إذَا شهدتُ ثَغورَهم   هَاجتْ حَنيـــنِي للصَّفـــاءِ الذَّاهبِ

والبعـــدُ يُؤذِيـــنِي ورُبَّ مفارقٍ   لَـــمْ يُـــؤْذِه يَومـــاً تَنائـــي غَائِبِ

وكَرَامـــةٍ لو مُسَّ منهـــا جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشِـــي عندَهـــا ومَطالِبِي

بَلغَ الحِفاظُ بِها القداســـةَ والتُّقَى   وحَـــذَارِ وَهـــمٍ خَاطِـــئٍ أو صَائِبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراها: أوساخها

٢- الأثير: المراد النسيم

٣-يُكثّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤- الصحو: الهدوء والصفاء.

٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســاً إذا مــا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشَــدتْ بتجَارِبي[٥]

لكنَّها نفــْس سَــمَتْ فَتَألَّمتْ   والمــاءُ لا يصفُــو الحياةَ لشــاربِ

دَعْنِــي أعيــشُ مُعذَّبــاً متألماً   بمواهِبــي يــا شِــقْوتي بِموَاهِــبِي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّهـا ألعــابُ دَهْــرٍ سَــاخرِ
مَاهــرٍ يَهْــزَأُ بالمُسْــتَهزئينَ يبعــثُ النُّكْتَــةَ عفوَ الخاطــرِ![1]

* * *

وسَــواءٌ أضحكــتْ سُــمَّارَه أم دَهَتْهــمُ بالرزَايــا والمِحــن
فهــو يُلقِــي أبــداً أدوارَه وهــو لا يُســألُ عن مــاذَا ومَن؟

* * *

يســمعُ الأنَّاتِ تشــتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشــجيّاتِ النُّــواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِــنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهــو يَلْقاهــا بِهُــزءٍ ومِــزَاح!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقــد أعيانِــي البحــثُ الكثيرْ!

مخلِــص الطّبْــعِ له قلــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســاسِ فَيّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداَ

لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا

وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى

غــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ

يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَــرى الغــدرَ بِإعجــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]

وتغنيتُ بألحانِ الوفاء

ساميات كأناشيدِ السَّماءْ

ســكرةٌ عَجْلى ومــنْ ثَــمَّ أفيقْ فــإذا بي ألْمَــسُ الغــدرَ الحقيرْ

وإذا الإخْــلاصُ خَــلّابٌ بريــقْ مِنْ سَــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ[3]

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهـــذا الكـــونُ إنْ كنـــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيـــش في حِمي الغـــدرِ يَطيبُ؟

ثم مـــاذا تَبتغِـــي تلـــكَ القلـــوبْ

غيرَ إحســـاسٍ من العطـــفِ رقيقْ   يَغْمُـــرُ الأرياحَ فَيَّـــاحَ العَبِيرْ[1]

فـــإذَا العيـــشُ رَجَـــاءٌ ووُثـــوقْ   وإذا الكـــونُ رِضـــاءٌ وَحُبـــورْ

* * *

إنَّ هـــذا العطـــف رَمْـــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الـــرُّوحِ في هـــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِـــي الكونِ لـــولاه زهيدْ

ورَحِيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ   والنعيمُ العَزَبُ مَسْـــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســـانَ بالعطـــفِ خليقْ   في جحيمِ العيـــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بــينَ أطيــافِ الرجــاءِ

عن صديقي ذلــك الطُّهْــرِ البَراءِ

لــن أملَّ البحــثَ لو طَــالَ العَناءْ

ليس هذا اليــأسُ باليــأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبي في نفســي السَّعيرْ

حِــيرةٌ تائِهــةٌ مــا إنْ تُفيــقْ وهي الوحدةُ أو عَيــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يــا طيفَ الأمَلْ

هَاهُنــا قلبٌ مــن الوحــدِة مَلْ

ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]

وهو لا ينــوي عِتابــاً لصديقْ حينمــا يُخطــيءُ أخْطَــاءَ الغَريرْ[2]

فبحســبي قلبُه الســمحُ الرقيقْ في فَيــافي العيــشِ إلْفــاً لِــي سميْر

* * *

١- خَضّلٌ: عضٌ طري

٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفَرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كاليباب   غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشِـيمْ[1]
باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب   فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومٌ[2]

* * *

كان ينمُـو هاهُنا النَّـورُ صغيرْ   فـوقَ نبـتٍ ليِّـنِ العـودِ هَزيلْ
فَـذّوي النّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ   إنمـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!

* * *

زهرةٌ في إثـر أُخـرى تُحتَضَره   وهُـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ   والرِّيـاحُ الهُوجُ تَـدوِي مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حوالَيـهِ خَـرابْ   مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]
وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ   يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ

* * *

ويُـدوِّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ   حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ
أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ[4]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الهشيم: اليابس من كلّ شيء
٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.
٣- القطين: المقيم.
٤- الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ   ومَشــي الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ

صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو   رُ بها، وما تشــدُو الجداوُل بالخريرْ

وسَــرَى القَفارُ بكلّ مُخصِبَةٍ فَما   تجِدُ الخَصيبَ بهــا؛ وما تجدُ النضيرْ

والسُّــحبُ طافيةُ تُغشّي كالسُّتور   وتســيرُ وانيةَ الخُطا ســيرَ الأسيرْ

فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقَها الأســي   وإذا القلوبُ بها كَليمٌ أو كَســيرْ[(١)]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبّ من هذا البكورِ   غامت عليه ســحابةُ اليــأسِ المريرْ

وذوتْ بِجنتــهِ أفانــينُ المُــنى   وخَبا بهيكلِ حُســنه القبــسُ المنيرْ

وسَها عن التقديس والتسبيحِ في   محرابهِ العُبّــادُ مَسْــحُورو الدهورْ

ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ   مــن الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُــعورْ

هانتْ شَــعائرُهُ ومَسّ ســتورَهَ   في جُرْأةٍ، غــيرُ المقــدسِ والطّهورْ

* * *

الأرضُ غــيرُ الأرضِ في دورانِها   لتكادُ مِــنْ فَرْط السَّــآمة لا تدُورْ

والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها   لتكادُ تكتــمُ في جَوانحها الزفيرْ[(١)]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يَغضُّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غــيرُ الطــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخــرابِ وبالثبور[٢]

والنــاسُ غيرُ النــاسِ في آمالِها ليكادُ يجثُــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريــفُ فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هــذا المصيرْ![٣]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أئني أنــا؟ أم ذاك رمــزٌ لغابرٍ؟ لأَنْكَرْتُ مِن نفسي أخصَّ شعائِري!

لأَنْكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ مِنْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشَتَّى خَواطِري[1]

وأنكرتُ شِعْري وهو نفسِي بريئةٌ مُمَحَّضَــةٌ مــن كلِّ خِلــطٍ مُخامرٍ

وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهــودٌ وآبــادٌ طِــوالُ الدياجــرِ

وأحســبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيّــلُ لِــي: أنْ لم تمــرَّ بخاطِــري!

* * *

أنَقِّبُ عــن ماضِيّ بين ســرائِري فألْمحُه كالوهمِ؛ أو طيفِ عابرِ[2]

أعيــشُ بــلا مــاضٍ كأنِّــيَ نَبتَةٌ على السطح تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!

ومــا غابــرُ الإنســانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِــذْرٍ مُؤازِرِ؟

وقد يتعــزّى المرءُ عن فقــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِــي التي قد فقدتُها بنفسِــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!

واطلبُها في الــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلــهُ يُفْضِــي بتلــك الأزاهرِ

وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا تيقَّــظ فيهــا كل غافٍ وســادرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أُنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إِذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ لــلأرواحِ إيماءَ ســاحرِ

وفي الفجرِ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]

وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِــطَ آمــالٍ ومَطْمَــحَ ثائرِ

وفي النَّكْبــةِ النَّكْبــاءِ والغبطةِ التي تجودُ بهــا الأقدارُ جُــودَ المُحاذرِ!

ولكنّــني أيئســتُ أن ألتقــي بها وتاهتْ بــوادٍ غامرِ التيــه غَائرِ

سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يــدانِ، ولا يَجْلُوه ضــوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

يا ليتَ شِعْري، ما يُخبِّئُه غَدي؟ إني أرُوحُ مع الظنونِ وأغْتدي[1]

وأُجِيلُ بَاصرتي بها وبَصيرَتي أبغي الهُدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعوْتَه وطرحتُ عني حَيْرَتِي وتَردُّدي

فكأنني الملّاحُ تَاهَ سفينهٌ ويخافُ من شطِّ مريبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ يا غدي؟ إنِّي أُحسُّ بهولِ هذا المولدِ!

سَيصرِّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ما ملكتْ يدي

ستروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفي على بعطفِها المُتودِدِ

ستَجِفُّ أزهارٌ يفوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النّدي[3]

والمِشْعَلُ الهادي سيخبُو ضؤوه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردي

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصِّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشــيءَ بَعــد الفَقْــدِ للمتفقدّ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفد»[4]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســف على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألم لا يعودُ بِمَشْــهَدِى!

رَبَّــاه إني قــدْ سِــئمت تــردُّدِى فــالآنِ ،فَلْتَقدْمُ بهولــكِ ياغَدي

* * *

[1] – صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفَدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريبا..! *

غريـــبٌ . أجـــل أنـــا في غُرْبـــةٍ   وإن حَـــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ

غريـــبٌ بنفسِـــي ومـــا تنطوي   عليـــه حَنايـــا فـــؤادِي الحنُـــونْ

غريـــبٌ وإنْ كَانَ لَمَّـــا يـــزلْ   ببعـــضِ القلـــوبِ لِقلـــبي حنينْ

ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ   وجَـــاورَ فيهـــا الشُّـــكُوكَ اليقينْ

غريـــبٌ فَوَاحاجـــتي للمُعـــين   وواهـــفَ نفســـي للمُخلصـــينْ

* * *

أكادُ أُشـــارفُ قفـــرَ الحيـــاةِ   فأُشْـــفِقُ مـــن هولـــهِ المرعـــبِ

هنالـــك حيـــثُ رُكامُ الفَنـــاءِ   يَلُـــوحُ كمقـــبرة الغيهـــب[1]

هنالـــك حيـــثُ يمـــوتُ الرّجاءُ   وتثـــوي الأمـــاني كالمُتْعَـــبِ

فأرْجـــعُ كالجـــازعِ المُســـتطار   أُرجّـــي أمـــانيَّ في المَهْـــرَبِ[2]

ولكنـــه مُقْفِـــرٌ أو يـــكادُ   فيـــا للغريـــبِ، ولم يَغْـــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.

٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمس مَرّ يومْ!
نبأ يأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ
* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسأل الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!
* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طواه العَقْرَبانِ في دقيقهْ؟ [1]
* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذبُ الأفلاكُ أمْ حسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحَرْ؟
* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!
* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكم فلا هي تُفَرّقْ [2]
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلاَ أو تُحققْ! [3]
* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحساب وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو [4]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِين نَصِّي! الرِّكابَ حَثيثةً يالَيال[1]

مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبابِ فلستُ آسٍ لِغالِ

مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ

مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنى والخيالِ

وضَاعَ في غَمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ

فأسرعي ياليَالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهلينْ؟ وأيّ غيبٍ تَهابْ؟

وما احتفالٌ بِمرّ السّنين؟ من بعدِ مَرّ الشَّبابْ؟

وما الذي ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرِّغَابْ

يكونُ - وَاحَسْرتَاه - السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ؟[2]

يكونُ - كالقيد - عَقلُ رزينٌ! يعطُو لشطِّ الصّوابْ![3]

فيَ السُوءِ المآبْ[4]

---

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصي : اظهري من نَص ينصُّ: رفع وأظهر، عّن وحدد.

٢- الرِّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.

الحثيثة: السريعة الجادة.

٣- يَعطو: يطلّع.

٤- المآب: المصير

فذلــك العقــلُ رمــزُ القيــودِ ونحــنُ شَــرُّ العُنَــاه[1]

يَزُودُنــا عــن مراقِــي الخُلُــودِ وخَــيرِ مــا في الحَيــاهْ

والطيــشُ رمــزُ الشّــبابِ المُريــدِ يَســمُو بنــا عَــن مداهْ

فنحــنُ نَزْنُــو لهــذا الوجــودِ بفتَنْــةٍ وانْتبَــاهْ

فــلا نُبــالي بِصَــرْفِ الجُــدودِ ولا نَخــافُ الغَــداهْ[2]

فــكلُّ يــومٍ حَيــاهْ

يُضاعَــفُ اليــومَ منّــي المُصَــاب إنْ لَــم أعِــشْ بالخيــالِ

قَضَيــتُ - واحســرتَاهُ - الشّــبابَ كالكهــل في كلِّ حَــالِ

يجيــشُ بالنفــس سَــيْلُ الرّغَــاب فــلا يُمَسّــي اعتــدالي

وَوُجْهَــتي في الحيــاةِ الصّــوَابُ ونظــرتي للمــآل![3]

عصيــتُ أمْــرَ الحيــاةِ المُجَــابُ فــكان رُشْــدي ضَلالي!

فأسْــرِعي ياليــالِ

* * *

---

١ - العُنَّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.

٢- بصرف: من صرَف الدهر: نوائبه وحِدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخخطها الحظ لنا.

٣- المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّــابِ بعضَ التَّوثُّبِ إلى أيـــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّيـــنَ كالأوهـــام لا أسْــتَبِينُها وتَمضِـــين عَنِّي مَوْكِبـــاً إثْرَ مَوْكبِ
وإنِي كالمخمُـــور قد غَـــابَ وَعْيُه وكالشَّـــبَحِ الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَبِ[1]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـــا رُبَّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً وأوغل في الماضـــي البعيد المُنَكِّبِ[3]

* * *

خُطَا الزّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّبِ طَويت حَيـــاتي بينَ صبُـــحٍ ومَغْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي ضَمْمـــتِ ثَنَاياه علـــى كلِّ مُعْجبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهينَةً أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبِّي[4]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشـــتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْســـي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه حَواضِـــرَ أيامِي ومَاضِـــي المُجَرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧

١- الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢- ناء : بعيد. مكثب: قريب.

٣- المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.

٤- هينة: بطيئاً.

قِفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي وَنَفَّــرتِ آمالي وعَمَّيْــتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرَّين يــا أيــام قَفْــراءَ؟ أمْ أنا خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَــبُ أنْ لَن تُعْــربي بِمقالةٍ إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْربِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُــدُ السُّــلْوَانَ من حُبٍّ عَقيم وتــرومُ البُـرءَ مــن دَاءٍ قــديم

ها هُو السُّــلوانُ فانْظُــرْ: أتَرى شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟ [1]

شَــاه في خاطِرِك الكــونُ وماتْ وتَخَلّتْ عنــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ [2]

وبَــدَا العُمْــرُ حَزينــاً عَاطِــلاً كامِدَ السَّــحْنَةِ مَجفُوّ السِّــمَاتْ

قَدْ مَضَــى الحُلْمُ، فحقّق في العَيانْ هل تَرى إلاّ خــواءً في الزّمَانْ؟ [3]

وتَهاويلُ الــرُّؤى... يــا ويَحها! غالها الصَّحْوُ فماتــتْ مُنْذُ كَانْ! [4]

نَــمْ قَرِيرَ العــينِ إنْ كنــتَ تَنامْ لَفَّكَ الصمــتُ وغَشّــاكَ الظّلامْ

يَأمَــنُ الدُّنيَــا ويَخْلُــو لِلكَرى مُعْــدَم الكفينِ مَفْقُــودَ الحُطَامْ! [5]

قَدْ خَلا الهيكلُ مــن وَحْي الصنّمْ وغَدا معبــودُكَ الأسْــنَى حُطَمْ [6]

أتُطيــقُ الآن تَحيــا مُلْحِــدَا أم تُــرى تَخلُــو لشَــيطانِ النّدَمْ

ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ أتَــرى الأمْــنَ هُنا بــين اليَبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـــا المنكـــوبُ في أحْلـــى المُنَى الحياةُ الحـــبُّ والحُـــبُّ العَذابْ!

ضِقْـــتَ بالقيدِ! فها أنـــتَ طلَيقْ! ما يُباليـــكَ إذن حَـــادِي الرِّقيقْ!

فَهُـــو يُخْلِي في الفيافِـــي كلَّ مَنْ لا يُســـاوي ثَمَنَ القيـــدِ الوَثيقْ![1]

عُمْـــرُك الفَـــارِغُ كالثِّقْـــلِ زَهيدْ ليس فيـــه مِنْ طَريـــفٍ أو تَليدْ[2]

وهـــي الأيـــامُ تَقْضِـــي مِثْلَمـــا تَنْقَضِـــي أيـــامُ مَأجُـــورٍ شَـــريدْ

أيـــنَ أحْلامُكَ بالعُـــشِّ الجميلْ؟ أيـــنَ آمَالُـــك في الظِّـــلِّ الظَّليلْ؟

قَـــدْ مَضَـــى الحُلْمُ ووَلّـــى مُوهِنَا فاركَـــنْ الآن إلى الصّحوِ الطّويْل!

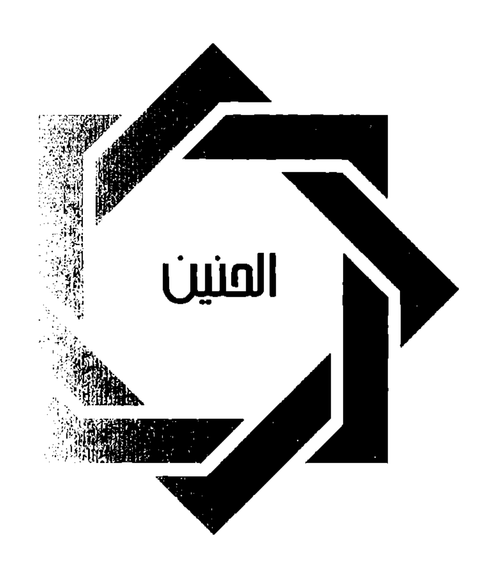
تَمّـــض يا منكودُ ما كنـــتَ تَرومْ ومَشَى السُّـــلوانُ في الحبّ القديمْ

نَـــمْ قريـــرَ العَينِ واهنَـــأ بالكَرى الكَـــرى المَيّتِ في القلـــبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كان ، والمؤلمُ في (كان) الفَناءُ !

حيث لا رُجعي ولا طيفُ أمَلْ

عهد الصغر *

إذا الليــل جَــنَّ تجيــشُ الفِكَــر ويُــؤرِّقُ جَفْنِــي مَــرُّ الذِّكَرْ[1]

ويخلُــو فــؤادِي لأحلامِــه فيجعــلُ منهــا حديثَ السَّــمَرْ

وتَخْلُــدُ رُوحــي إلى الذكرياتِ فَتَسْــرِي تِبَاعــاً سِــراعاً تَمُــرْ

فآنــاً تُــؤزُّ وآنــاً تَلــذُّ وآنــاً تَسُــوءُ وآنــاً تَسُــرْ[2]

هــدوءٌ طويــلٌ وصمــتٌ رهيبٌ وفي النَّفْسِ أشــجانُها تَشْــتَجرْ

إذا مــا ذَكَــرْتُ زمانــاً تَقَضَّــى بديــعَ الرُّسُــومِ جميــلَ الأثــرْ

تــراءى لِنَفسِــي عهــدُ الصِّغَــرِ فتشــتاقُ نَفْسِــي لعهــدِ الصِّغَرْ

لعهــدِ الرِّضَــاء وعهــدِ الحُبورِ وعهــدِ الصَّفَــاء القليــلِ الكَدَرْ

أنــامُ وأصْحــو علــى ما أشــاءُ طَــروبَ الفــؤادِ قريــرَ النَظَرْ

وتصحُــو الغزالــةُ مِــن خِدْرِها فتزهُو الــورودُ ويحيــا الزَّهَرْ[3]

وتبــدو الرِيــاضُ ريــاضُ القُرى بوشــيٍ جميــلٍ ووجــهٍ نَضِــرْ

ويَسْــجَعُ فيهــا الحمــامُ طروباً وتشــدُو البلابلُ فوقَ الشــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـــى الله عهـــداً جميـــلاً تَولَّـــى   وخَلّفَنـــي للأســـى ثُـــمَّ مَـــرْ

وأسْـــلَمني لِصعـــاب الأمـــورِ   وكيـــدِ الصُّروفِ وطولِ السَّـــهرْ

* * *

ألا يَـــا رَعـــى الله عهـــدَ الصِّغَـــرِ   ألا يـــا لحـــا الله عهـــدَ الكِبَرْ[1]

فذلـــك عهـــدٌ صبَـــوحٌ أغَـــرْ   وهـــذا عبـــوسٌ ظَلـــومٌ قَتِـــر

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثـــاني بمـــا مَضَـــى حَدِّثَانِـــي   وأعيـــدَا إليَّ عَهْـــدَ الأمانِـــي

واذكـــرُا لي زمانَ عشـــتُ طَروباً   لا أُبـــالي بحادثـــاتِ الزمـــانِ

وصِفَـــا لي لياليـــاً قَـــد تقَضَّـــتْ   كنتُ فيهـــا كالحالِم الوَسْـــنَانِ

صَوِّرَا لي الريـــاضَ والزهرَ والوردَ   ولحنَ الطيـــورِ عَـــذْب الأغانِي

وأعيـــدَا لمَسْـــمَعِي ذكريـــاتٍ   لا تَصَـــدَّى لهـــا يـــدُ النِّســـيانِ

واسمحَـــا لي بزفـــرةٍ وحَنـــينٍ   ليس لي سَلوة سِـــوى التحنانِ[1]

واغفـــرا لي دُمـــوعَ عيـــني فـــإني   لأرى الدمـــعَ فـــوقَ كل بيـــانِ

إنَّـــه النَّفْـــس رُقِّقَـــتْ ثم سَـــالتْ   أو هـــو القلبُ ذَائبـــاً من حنانِ

وأقـــلُّ الوفـــاءِ للعهـــدِ ذِكْـــرى   هي خيرٌ مـــن حاضـــرِ الأزمانِ

وقليـــلُ عنـــد التذكُّـــر شـــوقٌ   ودُمـــوعٌ تُكِـــنُّ أسْـــمى المعاني

إنّ ذِكْـــرى القديم للنَّفْسِ تُؤسِـــي   وتُهيِّـــجُ الشُّـــجونَ للوجـــدانِ

وهُـــو واللهِ بعـــُض أجزاءِ نَفْسِـــي   باعـــدتْ بينهـــا يَـــدُ الحَدثَانِ[2]

فاذكُـــرَا لِـــي القديم همســـاً ورفقاً   ودَعَـــانِي أجيـــشُ لا تعـــذِلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يـــا ديـــاراً نَشـــأتُ فيهـــا صبيًّا وصَحِبتُ الشـــبابَ في العُنفُوَانِ

لـــكِ مـــني تحِيـــةٌ وســـلامٌ أنـــتِ دارُ النعيـــمِ والرِّضْـــوانِ

فيـــك يـــا دارُ من صِباي رســـومٌ زاهيـــاتُ النقـــوشِ والألـــوانِ

هـــي عندي أعـــزُّ من كلِّ شـــيءٍ وهـــي تبقـــى وكلُّ ما عَـــزَّ فَانِ

فيـــك يـــا دارُ من هَواي رَســـيسٌ وألـــذُّ الهوى هـــوى الشُّـــبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيـــاةِ في ذلكِ الحينِ وفيـــه القُطـــوفُ شـــتى دَوانِ

وهو وحي من جانـــب الله يُوحي وهـــو ســـرُّ الإلـــه في الإنســـانِ

مـــا أرى العيشَ غـــيرَ حبٍّ بريءٍ مـــن ذميـــمِ الأهـــواءِ والأدْرَانِ

رُبَّ يـــومٍ قضيتُـــه في حُبـــورٍ بـــين جمـــعٍ من صفـــوةِ الخِـــلّانِ

دونَـــه الدهـــرُ والحيـــاةُ جميعـــاً في رِضـــاءٍ ومتعـــةٍ وامتنـــانِ

* * *

إن تلـــك الحيـــاةَ شـــيءٌ عجيبٌ وهـــي النَّفْـــسُ كلَّ يومٍ بِشَـــانِ

كيـــف كان الربيـــعُ ثوبـــاً بهيجاً وهـــو اليـــومَ نَاصِلُ الألـــوانِ؟[2]

ها هـــو الروضُ والـــوردُ والزهرُ وهـــذا الحَمَـــامُ مـــن فـــوق بانِ

لا أرى الـــوردَ غير جذرٍ وســـاقٍ أو أُحِـــسُّ الغِنـــاء عذباً شَـــجاني

١- رسيس من رسّ يُرسّ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنّما النَّفْسُ حين تَصفُو تَراها خلعتْ صَفْوها على الأكوانِ

وهي النَّفْسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامها كالدُّخانِ

لو تساوى الإحساس في كلّ آنٍ تتساوى الأشياء في كلّ آنِ

عَمَّرك الله ما المحاسِنُ إلا صورةُ النَّفْسِ في بديع افتنانِ

وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ في خيالٍ فحُققت للعيانِ

فرعى الله عهدَ أُنس أراني صورةَ الكَونِ في جمالِ الحسانِ

وَرَعى الله خيرةً ورفاقاً ورَعَى الله أربعاً ومَغانِي[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَـــبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعضِ نَفْســـي قَـــد تـــولاّه العَدَمْ
يَتـــراءى كُلّمـــا شَـــطَّ النَّـــوى فَـــإذا الذكـــرى شُـــجُونٌ وألمْ
وإذا الكَامنُ في نَفْسِيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلّمـــا أقْبـــلَ يـــومٌ ومَضَـــى أَوْغَـــلَ الماضي بمجهول سَـــحيقْ
ذاهبـــاً عـــني كـــبرق أوْمضَـــا ثم دَوّى بعـــدَه الصمـــتُ العَميقْ
وهو صمتٌ تحتَه صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكـــتُ تصريـــفَ الزّمْن كيفمَـــا أهـــوى وأنّـــي أرْغَـــبُ
لرجعـــتُ الدَّهْرَ للماضِـــي إذَنْ فَـــإذا بي حيـــثُ كُنّـــا نَلْعَـــبُ
ورفاقٌ ليِّنُو العودِ صِغارٌ
ليس تدرِي الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَـــرَاتٌ نَضِـــرَاتٌ باسمـــاتٌ تلمـــح الغبطـــة فيهـــا والرضاء
مَرِحَـــاتٌ مَشْـــرقاتٌ لاهيـــاتٌ لا تَـــرى في الكونِ إلا ما تَشَـــاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى الودّ مِنْ غيرِ انْتباه فإذا العيشُ سرورٌ وفَرَح[1]
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدّى في نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعيمْ
أينَ مِنّي ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ مِنّي بعضُ أيامِ الصِّغْر
إنَّها مَرّتْ كما يهفُو النسِيمُ فَيُحَيي ويُحييه الزّهَرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضي رُويداً في خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضي مُسْرعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نَواكَ وبِحَسْبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجَّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنـــا أرثيـــك يـــا عَهْـــدَ المُنَى؟ أأنـــا أرْثيـــكَ يـــا عهـــدَ الوَفَاءِ؟
أنْـــتَ يَـــا عَهْـــدُ أأرْثِيـــكَ أنَا؟ لا. فَلَـــنْ أقْوى على هـــذَا الرِّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجـــرى على الطِّرْس قلمٌ لا. ولَـــنْ تُعْلِـــنَ هَـــذَا كَلِمَاتْ[1]
أرِثَـــاء؟ أغَـــدَا الماضِـــي عَـــدَمٌ؟ أو هـــل يَغْـــدُو رَهينـــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ ســوُء يَنْفُـــثُ الهـــمَّ بنِفسِـــي والقَلَقْ؟
أمضَى عهـــدٌ هو العمـــرُ الهنيءُ؟ أو حـــقٌّ ذاك يـــاربُّ أحَـــقْ؟

* * *

أَوَ عهـــدٌ هـــو رَيَّـــا مُهْجَتَـــين وهُو سَـــارٍ في الحَنَايَا والشِّعَاب[2]
يَنْطَـــوِى كا لـــبرقِ في غَمْضَةِ عينٍ ثم يبـــدُو لا ئحاً مِثْل السَّـــرَابْ؟

* * *

أَوَ يغـــدو ذلـــك العهـــدُ الوســـيمُ حُطَماً[1] تَلْهُو به أيـــدى الفَنَاءْ؟
زَهْـــرةٌ في الكُـــمِ تَلْقَاهَـــا هَشـــيِمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِـــقاء[3]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَــا مَثْـــواكَ يـــا عهـــدُ. هُنا؟ أهُنا يـــا عهد أقْصَـــى خُطَواتِكْ؟
وإذَا أدْعُـــوك يـــا عهـــدَ المُنَـــى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ؟
* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يـــا عهـــد ُ يـــديَّ حســـرةً قاتِلـــةً أو لَهْفَـــا
أتُـــرى تَرنُـــو بإشـــفاق إليّ أم تَـــرُدُّ الطّرْفَ عَنّـــى صَدْفَا؟[1]
* * *

ولو أنى اســـطعتُ يا(عهـــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ ســـنينْ
فبـــأي القـــولِ أســـطيعُ الوَفَـــاءْ وبـــأيّ الدمـــعِ تُذْرِيـــه العيونْ؟
* * *

أنْتَ جـــزءٌ من فؤادِى قَـــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القـــولِ في صَدْع فُؤادْ؟
أو غَنَـــاءُ الدّمْعِ في مـــاضٍ عَدمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّـــى مِنْ تلادْ؟[2]
* * *

آه يـــا عهـــدُ ومـــا آلمَ آهُ وهي ذَوْبُ النفـــسِ لا رَجْعُ أنِينْ
أُغـــربي عَنّـــي بعيـــداً يـــا حَيـــاهْ لا يطيـــقُ العيشَ منكـــوبٌ حزينْ
* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.
٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُـزَّ حـتى لَتُوقِيـه العيـونُ وتَفْديـه الأمَـاني والقُلـوبْ
وتَسـامَى عَـنْ مَنـالاتِ الظُّنونِ وبَـدَا كالخُلْدِ مَأمـونَ المَغيبْ
لا تَراه النفسُ إلاَّ بَاقِيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقيَا
طاهرَ الأرْدَانِ عَفًّا سَامِيَا[1]
كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَـا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ
هُـو عَهـدٌ صِيغَ مِـن حُـبٍّ نَقيٍّ وسُـمُو فوقَ إِحْسـاسِ البَشَرْ
وَوِقَـاءٌ سـابغُ الغيـضِ نَـدِيٌّ وحَنـانٌ مِثـلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]
وتَجلَّـى الغيـبُ عَنْـه فَسـفَرَ في جـلالٍ وجمـالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ. والمُؤلِـمُ في (كَانَ) الفَنـاءُ! حيثُ لا رُجْعَـي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَـاه بَغْتَـةً سَـهْمُ القَضَـاءِ فَتراخَـى في انحـلالٍ واضْمَحلْ

---

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.
٢- الغيض: القليل.
٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حينٍ خَاليَا

من رُوَاءٍ كان فيه حَاليَا[1]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاويَا

غــاض مِنـــه كلُّ أُنْـــسٍ وارتَحَلْ   مِثْلَما يَخْلُــوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[2]

أيُّهـــا العهـــدُ الـــذي مَـــرّ. ودَاعاً   هـــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

ســـوفَ تَبْقَى أبـــدَ الدَّهْرِ شُـــعاعاً   في ضمـــيري يَتَـــراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيك بُكاءَ الثّاكلِ

وأروِّيكَ بِدَمْعِي الهاطلِ

وأُناجيكَ بِقَلْبِي الذّابلِ

طَالَمـــا أحْيَـــا فَأمَّـــا يَنْصَـــرْم   ذَلـــكَ العمـــرُ تولاّنـــا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً

٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيـه حَـدِّثْ عـن السّـعادةِ إنّي   قد مللتُ الشَّـقاء كلَّ الشَّـقاءِ

أطلـعِ الصبُّـحَ في حَديثِـك يجلو   بعضَ هذا الأسـى بفيضِ الضيّاءِ

يا أخـي ضَاقَ بالحـوادثِ ذَرْعي   وسَـئِمتُ الشَّـكاةَ مِنْ بَأسائي

ومَللـتُ الحديـثَ فيهـا فحدِّثْ   أنتَ يـا صَاحِبي حديـثَ الهَناءِ

إنَّ بعـَض الحديثِ يُدنِـي الأماني   بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعـثُ الطَّـرْفَ في الفَضـاءِ مَليًّا   فأرى الأفـقَ ضيقـاً في الفَضاءِ

والصبـاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْـري   لفـؤادِي كمـا سَـرَى بالرِّضَاءِ

والربيـعُ الأنيـقُ ما عَـادَ يُذكي   فِـيَّ وَمْـضَ الحيـاةِ كالأحياءِ

والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً   عـادَ مَيْتـاً مُعَطَّـلَ الإيحَـاءِ

هـي نفسٌ أحالـتْ الكـونَ قَفْراً   فتـراءَى مُعطـلاً مِـنْ وَرَاءِ

هـي نفـسٌ تَحطَّمَتْ يالنفسـي   هي دَائِي فلسـتُ أرجو شِـفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشّـجُون وهاجتْ   حُرقَـاتِيَ وأيقظـتْ لأوائِـي[١]

يا أخِي هَاتِ مِـن حديثِك. صَوِّرْ   في خَيـالي مَلامِـحَ السُّـعَدَاءِ

كيـفَ يَحيَـون غِبْطَةً وابتسـامَا   كيـفَ يرضَون للأمانـي الوضَاءِ

أو فأمْسِـكْ فـكلُّ شـيءٍ مُثيرٌ   لشُـجُونِي. وخلِّـنِ وشَـقَائِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.



ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقائك الظامي

ليلات في الريف *

مِـــنْ حنينِ الفـــؤادِ؛ مـــن خَفَقَاته   ذلك الشِّـعرُ، من صَدى زَفَرَاته
وَسِـــعَتْه الألفـــاظُ وَزْنـــاً ومَعْنَـــى   ثم ضاقـــتْ عن رُوحه وسِـــمَاته
هُـــو وحـــيٌ لذكريـــاتٍ حِسَـــانٍ   أوْدَعَ الخُلْـــدُ بينهـــا ذِكْرَياتِـــه
وليـــالٍ يَـــا حُسْـــنَها مِـــنْ ليـــالٍ   يَشْـــتَريها مُخلَّـــدٌ بحياتِـــه
هَمسَ الصمـــتُ بينها هَمسَـــاتٍ   خَفَّـــضَ الكونُ عِنْدهـــا خَفَقاته
وسَـــرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا   نَ كَطَيْفٍ مُسْـــتَغْرِقٍ في سُـــباتِه

* * *

يـــا جمـــالاً بريـــفِ مِصْـــر قريراً   هـــادىء البالِ في خُشـــوعٍ وَقُورِ
لســـتُ أنســـى فيكَ ليـــاليَ مرتْ   هُنـــاّ أطيـــافُ عهدنـــا المَأثُـــورِ
حينَ نَسْـــرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً   فوقَ ســـهلٍ كالعَيْلمِ المَسْجُور[1]
بينمـــا الزهـــرُ حـــالمٌ في رُبْـــاه   وغُصـــونٍ مُهَـــدَّلاتِ الشُّـــعُورِ
وخريـــرُ الأمـــواه سَـــاجٍ رتيبٌ   مثـــلَ شَـــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْـــحُور
ونَجـــيٌّ مـــن الرِّفـــاقِ بِهَمْـــسٍ   وحديثٍ مُسْـــتَعذَبٍ مِنْ سَـــميرِ
قَـــدْ وَعَـــى الدهرُ هـــذه الليلاتِ   ووعينَـــا آثارَهـــا الباقيـــاتِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْــرى تَوشَّــجَتْ بنفوسٍ   حانيــاتٍ لطيفِهــا رَاجِفَــاتِ[3]

ســوف تُعييه رُقْيــةٌ مــن خُلُودِ   عوّذَتْهــا الفنــاءَ والحَادثات.![4]

هذه مَسْــكَةٌ مــن الأبــد البَاقي   المعهــودِ قبــلَ خَلْــقِ الحيــاةِ

ذَخَرَتْهــا الأحقابُ حــتى اجتمعْنَا   فأبيحــتْ فمالَهــا من فَــوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.

٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.

٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.

٤- عوّذتها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ   وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي
يا ريف فيـك من الخلـودِ أثَارَةٌ   تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]
وتردُّ إحْسَاسِـي إليك إذَا خَلَتْ   نفسـي إلى الآمـالِ والآلام
وكأنَّنِي المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً   في بُهْـرةٍ كالطائـفِ النَّـوام![2]

* * *

إني فقدتُـكَ في الطفولـةِ غافلاً   عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّـامي
لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخَاطري   رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـام
وتكشـفتْ نَفْسِـي فلُحتُ كأنما   نَفْسِـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤام[3]
ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً   لم تُبْـلِ جِدَّتَهـا يـدُ الأيـام
واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنني   طـيرٌ يـؤوِّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَام
يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني   للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظَّامـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ   في الوهـمِ، لَـمْ يَتبَـدَّ للأَقـوام
وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ   صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامي
وتُحُس بالسـرِّ العميـقِ تَخالُهُ   يُضْفِـي علـى الأيقـاظِ والنُّوام

* نشرت عام ١٩٣٣
١- أثارة: بقية
٢- في بهرة: في دهشة.
٣- بتؤام: التوم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّة

ويلوحُ في وضـــحِ النهارِ ويَنْطَوي   ما بينَ طيـــاتِ الظَّـــلامِ الطَّامِي[1]

هو ذلك السِّـــرُ الـــذي مِفْتَاحُه   ضُمَّـــتْ عليـــه جَوانِـــحُ الأهرامِ

* * *

إنِي أجـــولُ بِخَاطـــرٍ مُتنقـــلٍ   في حيثمـــا امتـــدَّ البســـيطُ أمامِي

فـــإذا مَواكِـــبُ للجمـــالِ وَديعةٌ   جمَعَـــتْ طرائفَهـــا يَـــدُ الإلهـــامِ

للطيرِ فيهـــا، للأزاهـــرِ، مَوْكِبٌ   للنـــاسِ، للحشـــراتِ، للأنْعـــامِ!

متآلفِين، سَـــرى الرِّضَا لنفوسِهِم   فيما اغْتَذَوا من مَشْـــرَبٍ وطَعامِ!

كلٌّ يرجِّـــعُ للطبيعـــةِ لَحْنَـــه   في ذلك الوادِي الخصيـــبِ النَّامِي

وهُنـــا الطبيعـــةُ كالغريـــرة إنمـــا   وَرِثَـــتْ وقـــارَ أُبـــوّةٍ مُتَـــرامِ![2]

تَلْهُـــو، ولكـــن في بـــراءة طِفْلةٍ   مـــن نَسْـــلِ آلهةٍ غَبَـــرْنَ كِـــرَامِ!

عَبَدتْهـــم الأوهـــامُ في غَمَراتِهَـــا   وانـــدسَّ بعضُ الوهـــمِ في الأفهَامِ

وتَوارثَتْـــه طبيعَـــةٌ خَلـــدَتْ بِهـــا   مصـــرٌ علـــى كَـــرٍّ من الأعـــوامِ

يا ريفُ مِصَر، وأنت ســـرُّ بَقائِها   اســـلَمْ، فَدَتْكَ مَواهِبِي وحُطَامِي.

* * *

1- الطامي: الشديد.

٢- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليالي المبعوثة*

بعد عام كاملٍ من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلىالريفِ، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلاتِ الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُــو البعــثُ ياليالِــي الخُلودِ؟ أمْ تُــرى أنتِ نَفْخَــةٌ من جديدِ؟

أم تُــرى صــورةٌ منــك صِيغتْ بــين وَحــي الإِلْهــامِ والتجويدِ؟

يــا ليالّي مــا أراكِ سِــوى أنتِ كمــا كنــتِ مــرة في الوجودِ!

ها هُنــا والزمــانُ يَحْلُم وَسْــنَا نَ ســعيدٌ لهــا بِحُلْــم سَــعيدِ!

ورَنَــا البــدرُ في حَيــاءٍ وَديــعٍ وهــو راضٍ رِضــاءَ طفــلٍ وَليدِ

ورِفاقــي هــم الرِّفاقُ، ونَفْسِــي هي نفسِــي، وعَالَمِي؛ وعهودِي!

مــا أرى مَعْلَمــاً تغيَّر أو رَسْــماً مَحَتْه يــدُ الزمــانِ الكَنُــودِ[1]

أنــتِ ليلاتُنــا! فَقُصِّــي عَلينــا كيــف أفْلَتِّ من زمــانِ القيودِ؟

* * *

قَــدْ تســللنَ خِفْيــةً في الظلامِ بينما الدهــرُ سَــادِرُ الأوهام![2]

ثم وَافينَنَــا وهُــنَّ سُــكَارَى حالمــاتٍ أَغْرِقْــنَ في الأحــلامِ

هامســاتٍ لَنا. لقد بُعِــثَ العَهْدُ فهيــا مِــن كُلِّ لَهفــانَ ظَــامِ[3]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَـــا دُعاءَهـــنَّ سِـــراعاً وخلَعْنـــا دُنيا الحجـــا والحُطامِ[1]

ورقينا مَـــدارجَ الخُلْـــدِ والكَونُ مُسَـــجًّى في غَفْلَـــةٍ وظَـــلامِ

ها هُنا كنـــتُ منذُ عـــامٍ! ولكن يـــا لنتفســـي! فها هُنـــا أيَ عامِ!

مـــا أرى للزمـــانِ رسمـــاً! فهذا كلُّ شـــيءٍ هُنـــا كرمزِ الـــدَّوامِ

إيـــه ليلاتنِـــا، أعيـــدي علينـــا قصةَ الخُلْـــدِ، فالأماني ظَـــوامِ[2]

* * *

خَيَّـــمَ الليلُ في خُشُـــوعٍ رَهيبٍ غيرَ لمحِ الرؤى، وخَفْـــقِ القُلوبِ

وسَـــرينا نرتـــادُ سِـــرّض الليالي وهـــي تُفْضِـــي بِســـرِّها عجيب!

ومَتاعـــاً مِـــنَ الحيـــاةِ نفيســـاً ضَمَّنَتْـــه آلافُ عهـــدٍ خَصيـــبِ

قَـــد رَشَـــفْنَا خلاصةً منـــه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّـــعوبِ

وسَـــرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّـــرَتْ عنـــه بالغِنَـــاءِ الرتيـــبِ

وتســـامتْ أرواحُنـــا في نَجـــاءٍ وتمـــادتْ قُلوبُنـــا في دَبيـــبِ

تِلْـــكَ ليلاتُنـــا، وهـــذا صَدَاهَا إيـــهِ ليلاتِنـــا؛ اخْلُـــدِي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.

٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانــتي الأولى وَرَوْحح شــبابي أئذا دَعْوتُ سَــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ

أنا في الجحيــمِ هُنا وأنــتِ بجنَّةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابِ ورَيْقِ شَــبابِ[1]

أنا في الجحيم وأنــت نَاعمةُ المُنَى خَضْــراءُ ذاتُ تَطلّــعٍ وطِــلابِ

أنا لا أُريــدُكِ هاهنــا في عالَمِي إني أُعيــذُكِ مِــنْ لَظَــىً وَعذَابِ

لَكِنَّهــا الذِّكْرَى تثــورُ بِخَاطِرِي مَجْنُونَــةً حمقــاءَ ذاتَ غِــلابِ

* * *

عَيْنِــي رَعَتْكِ وأنــتِ نَابِتَةٌ فلم تَغْفَــلْ ولم تَفْتُــرْ ولم تَتَأَلَــمِ

وتَعَهَّدَتْــكِ يَــدِي وأنــتِ نحيلةٌ وغذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمِي

فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلِك تَنْتَشِــي وتَهُــمُّ رَاقِصَــةً وتَهْتِــفُ بالفــمِ

حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّــذى ألفيــتُ نَفْسِــي في صميــمِ جَهنَّمِ

مُلْقىً هُنالــكَ لا أحُسُّ ولا أرى إلاّ الشُّــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتِــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيــني وبينــكِ شُــيَّةٌ لا تَنْتَهِي   أبــداً أُقــارِبُ حَولَهــا وأُباعِــدُ
هي شُــقَّةٌ النفسِ الخَرابِ، وإنّها   لمجاهــلٌ لم تُكتشــفْ وفَدافِــدُ[1]
الشــمسُ فيها لا تُطِــلُّ ومَا بِها   إلا الرواكِــدُ والظَّــلامُ البَــارِدُ
أنا لَسْتُ سَــالكهَا وأنت حَفيةٌ   أن تَجْنُبي عَنْهــا ونَجْمُكِ صَاعِدُ[2]
فــإذا الــذي بَيني وبينــكِ كلُّهُ   ذكْــرى تُطِــلُّ برأســها وتُعــاوِدُ

* * *

وأراكِ مِــنْ خَلل الغيومِ أسِــيفةً   إذْ تَذْكُرِيــن رِعايــتي وجُهــودِي
وتَريْــنَ حَاضِرَنــا وَغابِرنَا معاً   وتُراجعِــينَ مَواثِقــي وعُهــودِي
نَفْســي فداكِ فلا أراكِ شَــجيّةً   تُرقِــي الغُضُــونُ لوجهِــكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليــكِ تَطلُّعِــي وتَلهُّفي   وقفٌ عليــكِ قَصائِدي ونَشــيدِي
لكِــن أُعِيذُكِ خَطْــرةً في عَالَمي   إنِّــي أُعيــذُكِ وَحْشَــتِي وُكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

٢- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لـكَ يـا جمـالُ عبَـادتي لـك أنْـتَ وَحـدَك يـا جَمالْ
تعصـى تعاليـمُ الطُّغَـاة، أو الهُـدَاة علـى ضَـلالْ
ويُخالَـفُ التشـريعُ جهـراً أو خَفَـاءً في احتيـالْ
وتُجَانَـبُ الأديـانُ أو تُنْسـى وتُهْجَـرُ عَـنْ مَـلالْ
وأراكَ وَحـدَك يـا جمـالُ تَلقـى الخضـوعَ والاحتفـالْ
والحـبَّ والإيمـانَ مِـنْ كلِّ الأنـامِ بـكلِّ حَـالْ!

* * *

المـالُ مَعبـودُ الحيـاة المُسْـتَذلُ قُـوى الرجـالْ
هـو بعـضَ قُربـان النفـوس إلى مَقَامـك في ابتهـالْ
وأرى الألوهـة فيـكَ تُوحـي بالعبـادة في جَـلالْ
مـا أنـتَ إلا مظْهَـرٌ منهـا تُوشِّـيه الظِّـلالْ[1]
فـإذا عَبدتُـكَ لم أكُـنْ يا حُسْـنُ مِـنْ أهـلِ الضَّلالْ
بـل كنـتُ محمـودَ العَقيـدة في الحقيقـة والخيـالْ
أعْنُـو لمِـنْ تَعنُـو لَـه كلُّ النفـوسِ بـلا مثَـالْ[2]
مُتفرّقـاً في الكَـونِ في شَـتى المَرائـي وَالخـلالْ
فـإذا تَركّـزَ هـا هُنـا بَطُـلَ التّمحُّـلُ والجِـدْال![3]

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري   وفي صَمْتِها المُوحِي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علــى الدنيا فتوقِــظُ قَلْبَها   وتمنحُ هــذا الكونَ إيمانَ شَــاعرِ
وتَسْــكُبُ في ألحانــه عبقريــةً   من الفــنِّ لم تخطرْ بآمالِ ســاحرِ
وتجلُــو مــن الدُّنيا عميــقَ فنونها   وتكشــفُ في أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِــنْ عجبٍ تُوحِي بفتنةِ ســاحر   وتَهْمِــسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَــفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه   خواطِــرُ فنــانٍ نَــديِّ المشــاعرِ
وقد رقَّ هذا الجســمُ حتى كأنه   هَواتفُ حُلْــم ناعماتِ البَشَــائرِ
وقد رقَّ هــذا الصوتُ حتى كأنه   أغاريدُ لَحْنٍ في الســماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هــذا الخَطو حتى كأنه   مــرورُ نسـيم بالأزاهــيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري   وإنــك طيــفٌ هَامــسٌ للنواظرِ!

* * *

لأيقظتِ في نفسي ســعادةَ شاعرٍ   وراحــةَ موهــوبٍ وغبْطَــةَ ذَاخرِ
وأشــعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا   ومعــنى الغِنى عــن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفــقِ الخلودِ مدارجُ   رَقَيْــتُ إليها في سَــنى منك باهرِ
سَــبقتُ به خَطوَ الحيــاةِ لنَهْجِها   وجُــزْتُ بــه آفاقَهــا في المَعابــرِ
فيا لــكِ مِن هَــادٍ سَــنِيِّ المنائر   ويَــا لي من سَــارٍ وَحِــيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظتِ أنبلَ ما يُجِنُّ ضَميري وبعثتِ جوهرَ عُنْصري المَطْمُورِ[1]

فإذا أنا الرُّوح التي تَسْمُو بها دُنيا الحياةِ لأوْجها المنظورِ

وإذا أنا النُّورُ الذي تجلُو به تلك الحياةُ غَياهِبَ الدّيجور[2]

وإذا أنا الشَّوقُ الذي يَحدُو لها فتَغُذُّ بين مَسالكٍ وصخورِ

وإذا أنا الشَّعر الذي تَشْدُو به في نَشْوةٍ وتجيش بالتعبيرِ

وإذَا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهدُى والحبُّ والنَّجوى خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائري وجَلَوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ؟

وغَذَوتِ فيَّ فَضَائلي ورَوَيْتِها حتى أطلَّتْ بالجَنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحي وجعلتِ أشواقِي صلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْنِ الوديع ونظرةٍ بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعوري

وتُحيلُ أشواقي رِضاءَ مُخلَّدٍ راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بِقُصُورِ

وتُحيلُني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى كالعطف، أو كالحبّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْبيحِي وهَمْسُ سَرائري وإليكِ غايةُ غِبْطَتِي وسُروري

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجنُّ: يستر.

٢- الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَميلِ فَأْوبي   شَدَّ مَا اشْــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِي![1]
كانَ دفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ   فكَسَــاهُ الصَّقيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْــذُ غادرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَرَ الحبُّ   وطَاحَــتْ بِــهِ رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ
وتَخَلَّــتْ عِنَايَــةُ اللهِ عَنْــهُ   فَهُوَ في وَحْشَــةِ الغَريــبِ الكئيبِ
وَلَيَالِيــهِ شَــاجِياتٌ حَيــارَى   يَتَرامَيْــنَ حَوْلَــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودي إلى الْعُــشِّ عــودي   وَرَفْرِفــي   مِــنْ   جَديــدِ
وَرَنِّمِــي   بالأَغَــاني   في   جَــوِّهِ   وَاسْــتَعيدي
وَأَدْفِئِــي   بالأَمَانِــي   مَــا   مَسَّــهُ   مِــنْ   جُمُــودِ
وَتَمْتِمِــي   بالتَّعَاوِيــذِ   وَالرُّقَــى   وَالنَّشــيدِ
وَأَطْلِقِــي   فِيــهِ   لَحْنــاً   يَشْــدُو   لِحُــبٍّ   سَــعيدِ
وَيَطْــرُدُ   الْيَــأسَ   عَنْــهُ   بالشَّــدْوِ   والتَّغْرِيــدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَـــالَ انْتِظَـــارُكِ وَهْنــــاً فِي ظُلْمَـــةٍ وَكُنُـــودِ[1]
وَالرِّيـــحُ تَعْبَـــثُ فيـــهِ بـــكلِّ غـــالٍ مَجيـــدِ
وَكلُّ خَفْـــقٍ جَنَـــاحٍ أوْ رَجْفَـــةٍ مِـــنْ بَعيـــدِ
يخَـــالُ فِيهـــا مَآبـــاً بَعْـــدَ النَّـــوَى وَالشُّـــرودِ

* * *

عُـــودِي إلى الْعُـــشّ عُـــودِي وَرَفْرِفـــي مـــن جَديـــدِ
أضْنَـــاكِ طُـــولُ الشُّـــرُود وَلَـــذَّةُ التَّصْعيـــدِ
عُـــودي إلى الدِّفْءِ فِي عُشّـــكِ الأمِـــينِ الـــوَدُودِ
الْعُمْـــرُ يَمْضـــي فَهَيَّـــا نُعِيـــدُهُ لِلْوُجُـــودِ

* * *

[1]- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعاليْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالى. أوشكتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالىْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدَي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَريبَيْن!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَينْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّريدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَريقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضي حُبِّنَا أيْنَا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٢

تَعالىْ نُحْي بالأشْواق مَاضينَا
ونَبْعَثْ في حمَى الحُبِّ ليَالينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْييه يُحْيينَا

* * *

تعالىْ لَمْ يَعُدْ في العُمْر مُتَّسَعُ
تعالىْ لم يَعُدْ في الكَوْن مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهر لا يُبْقِي ولا يَدَعْ

* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيام عَزيزَات
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ

* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بأيْدينا

* * *

ربيعُ العُمْر يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطعمْه أو نَغْنَمْ به ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى

* * *

١ - منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين مِنْ العُمْرِ[1]
فَدفْءُ العُشّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرِّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيي لدى القَبْرِ
* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلّ بأيْدينَا
وجَذْبُ العُمْر يا أُخْتَاه يُؤْذينَا
* * *

تعالَى نَقْطَع البَاقي مِنَ العُمْرِ
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
خَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ
* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوِّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنِـي إليَّ خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالِـكِ
للأُمسـيات السُّـكَارَى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيَالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـك تَسْـرِي ريَّانَـةٌ[٢] مـن جَمَالِـكِ
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ ببَالِـكِ

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنـينٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[١]
ومـن هُنالِـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزَّمـانْ

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١ - الجواء: الواسع من الأمكنة.

في النفسِ يا مِصْرُ شوقٌ لخَطْرَةٍ في رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ لنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ
لِوَمْضَةٍ مِنْ سَماكِ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلةٍ فيكِ أُخْرى مع الرِّفاقِ هُنَاك
ظمآنُ هتفُ رُوحي متى تَراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يــا نائيــاتِ الضِّفَــافْ هُنــا فتــاكِ الحبيــبْ
عليــه طَــالَ المَطَــافْ مــتى يعــودُ الغريــبْ؟

* * *

مــتى تَمْــسُّ خُطــاه ذاك الأديمَ المغبَّــرْ
مــتى يَشُــمُّ شَــذَاه كالأُقحــوانِ المُعَطَّــرْ؟

* * *

مــتى تَــرى عينــاهْ تلــك الربــوعَ المواثــلْ؟[1]
أحلامُــه ومُنَــاه تدعــوه خلــفَ الحوائــلْ[2]

* * *

حنينُــه رَفّــافْ إلى الدِّيــارِ البعيــدهْ
مَــتى مَــتى يــا ضِفــافْ تَــأوِي خُطــاه الشــريده؟

* * *

رُؤُاكِ في نَاظِرَيــهْ تَــرِفُّ كالأحــلامْ
تُــرى هَفَــوْتِ إليــه علــى مَــدَى الأيــامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١ – المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢ – الحوائل: الموانع

ليلاتُـك السّـاريات كالنَّسْـمَةِ العبقريّـهْ
حالـتْ إلى ذكريـاتْ مُعَطَّـراتٍ نَدِيّـهْ

* * *

مُجَنَّحَـاتِ العبـيرْ مُرَفْرَفَـاتِ الأمَـاني
في عَـالمٍ مسـحورْ مُوسـع بالأغَانِـي

* * *

هُنالـك حيـثُ خُطـاهْ مَنشـورةٌ في الطريـقْ
مـا زَالَ فيهـا الحيـاةْ تَدْعُـو دُعـاءَ الغريـقْ!

* * *

يـا أرضُ رُدّي إليـكِ هـذا الوحيـدَ الغريـبْ
هَـواهُ وقـفٌ عليـك رُدّي فتـاكِ الحبيـبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفــؤادي كلَّ أسْــوانَ مُظْلِمِ ببَسْــمَةِ رَاضٍ في الحيــاةَ مُنَعَّمِ[1]

وصَوِّرْ بهـا الآمالَ: إنّــي رأيتُها تطيــفُ بريّــا ثَغــرِكَ المُتَبَسِّــمْ

وطالــعْ بِها وَجْــهَ الحيــاةِ نَدِيَّةً تَمسُّ حَشاشــاتِ القلوبِ ببَلْسَمِ

وتَسْرِي إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً يفيضُ عليها من رِضــاءٍ وأنْعُمِ[2]

فَدَيْتُــكَ لا تَأْلُ الحياةَ ابتســامةً أرقَّ وأحــنى مِنْ خيــالٍ مُهَوِّمِ[3]

مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَــةً وتخْطُــرُ في رِفْــقٍ بذيالــكَ الفَمِ!

فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غبْطَةً تُشَــافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَــاءِ المُتَمْتمِ

وتدركُهــا الأرْواحُ في خَطَراتِهــا كما تدركُ الأسمــاعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ

فديتُــكَ لا تــأْلُ الحياةَ تَبَسُّــماً فإنــكَ لم تُخْلَــقْ لِغَــيرِ التَّبَسُّــمِ

وقتكَ الليالي العابســاتُ عُبوسَها إِذَنْ فَتَبَسَّــمْ كيفما شِــئْتَ وَانْعَمِ

* * *

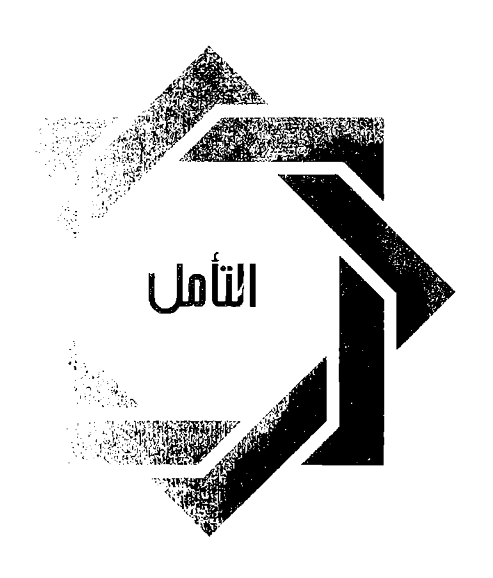
---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



التأمل

إلى الشاطىء المجهولِ والعَالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالِمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرأ

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْـــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْـــعُ العُمُـــرْ؟

نَفْحَـــةٌ تَنْفُثُها؟ تلك الشِّـــفاه تبعـــثُ المَيْـــتَ وتُحيي مـــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْـــمَةٌ كاللحـــن مِـــنْ قِيثارَةٍ رائـــقِ المعـــنى رَقيـــقِ النَغَمَـــاتْ

أو شَـــذى يَـــأْرَجُ مِنْ نَـــوَّارَةٍ في غُصـــونِ الوردِ زَاكِـــي النَّفَحَاتْ

* * *

بَسْـــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ[1]

بَسْـــمَةٌ تُشْـــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[2]

* * *

نَظَـــرَ الدهـــرُ إليهـــا فابتَسَـــم وســـرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَدِيبْ

سَـــريان البُـــرْءِ هَوْناً في السَّـــقَمِ ودبيبُ الرُّوح في الميْتِ السَّـــليبْ

* * *

ذلـــك القلـــبُ وقد جـــفّ نَدَاه وغـــدَا أجـــوفَ كالنبتِ الهَشِـــيمْ

وخَبَـــا في أفقِـــه ضـــوءُ الحَيَـــاة وبَـــدَا كالمعبـــدِ البَالِـــي القـــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكليم : المجروح

٢- الخضل: من خَضل يخضلُ: نَدِى وابتلَ.

ذلكَ القلــبُ قد اخْضَـــلَّ وَحَنَّ وأحــسَّ الــرُّوحَ في رِفْقٍ تَســيلْ
إذ تَــراءى الأملُ الحُلْــوُ الأغنُّ في ثَنَايــا ذلــك الثغــرِ الجميــلْ

* * *

هَتفتْ رُوحــي وحَيَّــاه فُؤادي في هــدوءٍ شــاملٍ ضَــافٍ حَنُونْ
وتــزودتُ مــن الحــبِّ بــزادٍ ومِــنَ الإخــلاصِ تُبدِيــه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيــه إذا تَرنُــو إليَّ تســكب الرَّوْحَ بقلبــي والرَّجَاءْ
وهــو إذ يحْنُــو بعِطْفَيــه عَلــيّ يَغْمُرُ النفــس بِفيضٍ مــن رِضَاءْ

* * *

إنّ في عينيــه مَعــنى للسُّــمُو فوقَ مــا يُــدْرِكُ هــذا البَشَــرْ
وبهــا آيــاتُ عَطْــفٍ وحُنُــوّ لســتُ أدْريهــا ولكــنْ أشْــعُرْ

* * *

أتُــرى أنْعَــمُ مِنْ بعدِ الشّــقاء؟ أترى في الشَّــوْكِ قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتِــي وأمَانِــيّ الوِضَــاء عَهْدُنــا الغَابِــرُ لــو كانَ يَعُــودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يــا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْــتَ سُلْوانا

فجمةُ الحــبّ قد تخبُــو ويَعقُبُها بَردُ السُّــلُو وتَنْسَــى كلّ ما كانا

فــلا جَفاءٌ ولا شَــكوى تُردِّدُهَا ولا دَلالَ وَلا وَجْــداً وَتَحْنَانَــا

تُمْسي وتُصبْحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ثَبْتَ الجَنَــانِ مُريحَ البــالِ طَمْآنا

نَعَــمْ سَــتَعْدمُ حِسّــاً رقَّ جَانِبُه ودَقَّ في عــالمِ الإحســاسِ ميزَانَا

ومَــا يُضيرُكَ مــن فُقْــدانِ رِقّتِه إذَا فَقَــدْتَ بها بُؤســاً وأشْــجَانا

وما الحياةُ إذا رَقّ الشــعورُ سوى بــؤسٍ يَجْرَعُــهُ الإنســانُ غَصّانا

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما تَلُوحُ للناسِ والأكــوانِ أكوانًا !

وتُبصِرُ الحبَّ شــيئاً أنْــتَ تَعرِفُه وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !

خلعــتَ ثوبــاً عليه أنــتَ وَاهِبُه لولاه مَــالاَحَ في الأنْظــارِ فتّانا !

* * *

فخَلِّ يــا قلبُ آمــالاً تجيشُ بها فقــد تغْــررك الآمــالُ أحيانَــا

هــذا الهــدوءُ تُنَمِّيــه وتَألَفُــه فيســتحيلُ مــع الأيــامِ نِســيْانًا

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إِيـــه يـــا دُنيا ومـــا أَنْتِ سِـــوى   عبـــثِ الأطفـــالِ فيمَـــا يلعبُون

ضَجَّـــةٌ صاَخِبـــةٌ لا تحتـــوِي   غـــيرَ أَصْـــدَاءٍ قَويـــاتِ الرَّنـــينْ

فـــإذا فَتَّشْـــتَ عـــن مَبعثِهـــا   لم تجدْ شـــيئاً تُخْبِيـــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَـــبٌ خَفْقُـــكَ يـــا قلـــبي في   هـــذه الأضلعِ من بعـــدِ الخُفُوتْ!

أَوَمـــا زلـــتَ إِذنْ لم تَشْـــتَفِ   مِنْ حنـــينٍ فيك حَـــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَـــازالَ إذنْ نبـــعُ الحيـــاة   لم يَغِـــض فيك ولم ينضـــبْ مَعِينُهْ

رُبَّمـــا فَـــاضَ على تلـــك الفلاةِ   في فؤادٍ مُقْفِـــرٍ جَفَّـــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طـــالَ عَهِـــدى أيُّها القلـــبُ به   ذلـــك الخفـــقُ الـــذي ذَكَّرتَنِيـــه

ذلـــك الخَفْـــقُ الـــذي لا ينتَهِي   حيث يَســـرِى الشِّـــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ وفـــؤادِي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ

* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالألَمْ والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَمِ والأمانـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوعِ

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنيِّ مَـــا يُغَذِّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ

* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبِّ، وما صاغـــتْ يَدَاه مـــن جحيـــمٍ يتلظَّـــى أو جِنَـــانِ

* * *

البعث *

قد بُعثـتُ اليومَ أحْيـا مِنْ جَديدٍ فهـو بَعْثٌ مـن حيـاةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصـفُ العُمـرِ أو كادَ يزيدُ لهفَ نفسِـي – في حيـاةٍ رَاكدةْ
في حيـاةٍ لم أجـدْ فيهـا حَيَـاه!
بَلَـغَ العُقْـمُ بهـا أقْصَـى مَدَاه
وتبـدَّتْ بَلقعـاً مثـلَ الفَلاه[١]
ثم لاحـتْ تَتَـراءى مِـنْ بَعيدٍ شُـعلةٌ مِـن نـارِ حُـبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسّ وتَسْـتوحِي القصيدْ والأناشِـيدَ العـذابَ الخالـدةْ
شـاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ مُلْهَمَ الفِطْـرةِ منْهُـومَ النَّظَرْ[٢]
نابضٌ بالعطفِ حَسـاسُ الضميرِ يُدركُ الهَمْسَـةَ تَسْـرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟
هكذَا عِشْـتُ كسـكانِ القُبورِ في ربِيـعِ العُمْرِ في العهـدِ النَّضِرْ
آه لو أسْـطِيعُ للماضِي الحسـيرِ رَجْعَـةً من بعـد ما جَـاء وَمَرْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١ – بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع

٢ – منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ! نابضـاً بالحـبّ جَيّـاشَ الأمانـي

مُمْسِكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ مُسـتعزّاً فيه حـتى بالثوانـى![1]

ظَافـراً أمـرحُ فيـه كالطيـورْ

حينمـا تشـدُو بألحـانِ البكورْ

بعدمـا تَنْفحُهـا ريـحُ الزهورْ

نصفُ عُمْري قَدْ تَولّى في اكْتئابِ فلأقض النصفَ نشـوان الأغانِي!

هائماً ألْهـو بمعسـولٍ الرّغَابِ أو أُغنّـى بالأمـانِيِّ الحِسـانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُــعاعْ بينمــا أخبِــطُ في داجــي الظَّلامِ

في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]

حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجما

ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا

والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما

وترى الأشــباحَ في رأسِ التِّلاع كالسِّعَالي، أو كأشــباحِ الحِمامِ[2]

فاغــراتٍ تَتَشــهى الابتــلاعَ تنهشُ اللَّحَم؛ وتَفْــري في العِظَامِ

* * *

فَتلفــتُّ علــى الضــوءِ يَلُوحُ مِثْلَمــا تَلْمَــحُ عــيْنُ السَّــاهرِ

أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعــنى شَــاردٍ في الخاطــرِ

قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ

شَفَّه الذُّعْرُ وأضنَاه العِثَارْ[3]

طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرِّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرِّجام.

٢- السعالى : مفردها السِّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفَّ أي نحل ودقّ من همّ أو مرض ويقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثُم أزمعـــتُ إلى الأفُــق الصَّبُوحِ أرتجــي فيـــه أمـــانَ الحائـــرِ
أصعَدُ الرابيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيـــُف جِـــن نَافِـــر
ثُم مـــاذا؟ ثم قَـــدْ سَـــاد الحَلَكْ فَجْـــأةً والقَبَـــسُ الهـــادي خَبَـــا
ثم أحسســـُت بدقـــاتِ الفَلَـــكْ لاَهثـــاتٍ، تَتراخَـــى تَعبَـــا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلـــبي خَفُـــوقٌ مُنْتَهَـــكْ ليـــس يَـــدرِي لخَـــلاصٍ سَـــبَبَا
حولَـــه الظُّلْمـــةُ في أيِّ سَـــلَكَ حيـــثُ ينســـى الهاربُـــون الهَربَا!

***

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى إيه مـــاذا؟ قلـــتُ للوهـــم عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادِي الرَّدى حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنـــا تُثوي الأمـــاني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شـــيءٍ هالِـــكٌ، حـــتى أَنَا!
ثم ضَـــاعَ الصوتُ يَفْنَـــى بَدَدَا وتَلاشَـــى تـــاركاً منـــه النَمامَـــا
وإذا بِـــي عُدْتُ أسْـــرِى مُفْرداً لا أرى شـــيئاً، ولا أدْرِي إلامَـــا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد.[١] -- كانت، تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنـــا في ذلـــك القفـــرِ هُنا   مَا بَرِحنـــا منذ حين شَـــاخِصَاتْ؟

كلُّ شـــيءٍ صامتٌ مِـــن حَوْلنا   وأرانـــا نحـــن أيضـــاً صَامتـــاتْ!؟

تطلُعُ الشـــمسُ علينا وتغيبْ

ويطلُّ الليلُ كالشـــيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْـــرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ...   وطلوعٌ وأفولُ...   ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يـــا أُخْتِي الكبيرةُ   مـــا الـــذي أطْلَعَنـــا بـــيَن اليبـــابْ؟

أيَمـــا إثْـــمٍ جنينْـــا أو جريرةٍ   سَـــلَكَتْنا في تجاويـــفِ العـــذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبْثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقًى؟ حدثيني كم سَنَلْقى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:
أنا يــا أُختــاه: لا أدري الجوابَ وذَفِــيْنُ السّـــرِ لم يُكْشَـفْ لَنا
منذ مــا أطلعتُ في هــذا الخرابِ وأنــا أســألُ: مــا شَــأني هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حِكْمَةَ الدّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّمــا كُنّــا أســيراتِ القَــدَرِ تَسْـــخَرُ الأيــامُ مِنّــا واللّيالــي!
تَضــرِبُ الأمثــالُ فينَــا والعِبَرَ وإذا نشـــكُو أذَاهــا لا تُبالــي!
رُبما كُنا مَساحيرَ الزَمنْ!
قد مُسخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانـــا نَسْــــلَ أربـــابٍ قُدَامى   قـــد جَفَاهـــا وتَولّـــى العابدُون!

جَفَّتْ الــكأسُ لديهـــا، والنّدامى   غـــادروا ندوتَها تَنْعِـــي القرُون

أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!

صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!

فبقينا في العَراءِ..   يجتوينا كلُّ راءٍ..   وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لســـتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّـــي كلّ شـــيءٍ في سُـــكُونْ

وإذا مـــا غَالنـــا غُـــولُ المَنـــونِ   فهنـــا يَغْمُرُنـــا فيـــضُ اليقـــينْ!

* * *

ثم سَـــادَ الصمـــتُ كالطيـــفِ الحزيـــنْ

وتَسَـــمَّعْتُ   لأقـــدامِ   الســـنينْ

وهـــي تَخْطُـــو خَطْـــوَةَ الشـــيخِ الرزينْ

هامساتٍ في الرمالِ   مُنشِداتٍ في جلالِ   كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يـــا ذكْرَيـــاتي البعيـــدةَ
يـــا أُمنياتِـــي الشَّـــريدةَ
إلّي قبـــلَ الصبـــاحِ
إلّي مِـــنْ كلِّ صـــوبِ
فَهينمِـــي حـــولَ قلـــبي
فانـــت وَحْيِـــي وزَادِي
غَفلْـــتِ يـــا ذِكْريـــاتِ
بـــين اصطخـــابِ الحيـــاةِ
وكلِّ جَـــأرٍ قـــويٍّ! [٢]
ســـهوتِ يـــا أُمنياتِـــي
إلى مَراقِـــي الحيـــاةِ
بحاضـــرٍ مَأتِـــيَّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتِ البعيدة في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتِي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إليّ قبلَ الصّبَاحِ

الليلُ أرْخى سُتُورَه في هُدْأة كالخُلود
والبدرُ أرْسَلَ نورَه كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضِي المُحيَّا سعيدِ

وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرّمَتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتي الخَوالي
وأمنياتي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسي فَلانتْ من بَعْدِ طولِ الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراس

ورفرفتْ ذكرياتٌ أثَرنَ قَلْبي حنينَا
ونضّرَتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتِ البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتِ الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إليّ قبلَ الصباحِ

فالفجُر في الكونِ لاحَ
والصبحُ يُذْكي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي ورفرِفي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ   وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]

ويُشْرِقُ وجهُ الصبْحِ في غمرةِ الدُّجَى   كما تشـرقُ الآمالُ واليأسُ غامِرُ

وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى   وتخفـقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَـاعِرُ

وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى   وبالكدحِ تُزجِيـه المُنى والمخاطرُ

وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي   يَضجُّ بها الأحياءُ، والدَّهرُ سَـاخِرُ

* * *

ولكنّـه لم يُلْـفِ بالكـونِ نَأمَـةً   تَنِمُّ على حـيّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ

ففي نفسِـه ما يُشْـبه الموتَ سَكْرَةً   ومن حولِـه موتٌ نَمتْـه المقابرُ

جَـلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَـعَ وَجْهـه   عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ

وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى   ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ

فـأدركَ في أعماقِـه عَـن بَديهـةٍ   نهايةَ ما صَـارتْ إليـه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيـبِ عن أيِّ صاحبٍ   ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ

ولكنـه أَلْقَـى بهـا عَبْـرَ نظـرةٍ   على الكـونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدّيجور: الظلام والجمع: دياجر

٢- عَجّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشــلاءٌ وأطــلالُ نعمــةٍ   وبؤسٌ، وشَــتى ما حوتَه الأداهرُ
وفي نفسِــه مــن مثلِهــا كلُّ ذَرَّةٍ   فهاتيك أشــلاءٌ وهَذي خواطرُ
تجَمَّــعَ فيها مــا تَفَــرَّقَ في الوَرَى   وما ضَمِنَتْ تلك السِّنونُ الغوابرُ
خلاصــةُ أعمارٍ وشــتى تجــاربٍ   ومجمعُ أشــواقٍ بها الكونُ حَائِرُ

* * *

وأوغَل في إِطْراقةٍ مِلْؤُها الأســى   فمرّت عليــه الذكريــاتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطَاهــا مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبٍ   وقد جاورتْ فيها المآسِــى البَشَائرُ
وأقبلــتْ الآمالُ واليــأسُ حَولها   تُمزّقُهــا   أنيابُــه   والأظَافــرُ
وجمّع فيهــا الخيرَ والشــرَّ رابطٌ   من النفسِ مشــدودٌ إِليها مُخَامِرُ[1]
وشَــتى عبــاداتٍ وشــتى عقائدٍ   يُؤلِّفُهــا الإيمــانُ وهــي نَوافِــرُ
وفيهــا من المجهولِ ســرٌّ وروعةٌ   ورغبــةُ محــرومٍ وخوفٌ مُســاوِرٌ[2]
وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ   تُحَجّبُــه عــن طالبيــه السَّــتائرُ
فياليتَه يَــدْرِى بما خَلْف سِــتْرِه   فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُ![3]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.
٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمــالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَــى، وأَذْكاه الخيــالُ المغامرُ

لعــل وراءَ الكــونِ مفْتَــاحُ لُغْزه وطلْســم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائرُ

وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِــفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجســم والجسمُ جَائِرُ

ولــولا مواثيــقُ الحيــاةِ تُشــدُّه إليهــا لأمضى عَزْمَــهُ وهو صَابِر.

وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ

وعَــاودَه حــبُّ الحيــاةِ لذاتِهــا وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ

وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكها لــه وحدَه والنــاسُ مَيْــتٌ وداثُر

فعــادَ إلى الدُّنيا العريضــةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشــاطرُ!

ولكنّــه لم يســتطبْ مُلْكَــه الذي تمحّــضَ لا يســعى بــه أو يغامرُ

وما فيه مــن كدٌّ ولا من تســابق ولا ســابقٌ في الكادحــين وقاصرُ

وكيــفَ يطيبُ العيــشُ إلا تزاحماً فيرْبَــحَ مجدودٌ ؛ ويَخسِــر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيــلَ والكونُ سَــادِرٌ

((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْــتُ بِمُلكٍ رَبُّه فيه خاســر))

((فهيا إِذنْ للمــوتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لِتُكْشَــفَ أَسْــتَارٌ ويَهــدَأَ ثَائِرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْــمَعيه هاتفــاتٌ ســواحِرُ

((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةٌ وأن تَشْتَرُوا الآتِيَ بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى   هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]

هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَسـرين خِفْيَةً   هوامسُ لَم يكشِفنَ في لحظةٍ سِتْرا

ويَغْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجى   ويُجَنّبْنَ من نفسـي المعالمَ والجَهْراَ

وفيهن مَنْ يُوحين للنفسِ بالرّضا   وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخْطَ والنَكْرا

ومن بينِ هَاتيك الهواتف مَا اسْمُه   حنينٌ. ومِنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!

أَهَبْنَ بنفسِي في خُفـوتٍ ورَوعَةٍ   وسِرنَ بِهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى

سَـواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى   من الأمـرِ إلا ما أردنَ لهـا أمراَ!

إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي   حَنَنـتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى   معـالَمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْـتَقْراَ.

إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه!   إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ   وتَمْـزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا

فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ)   ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى

فليـس هُنا(غيرُ) وليـس هنا (أنا)   هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحَلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَســتلهِمُ الظَّفرَا

أُهــوّم في هذا الخلــودِ و أرتقي   وأَسْلُكُ في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى

وأكشــفُ فيــه عَالماً بعــدَ عالمٍ   عجائــبَ مازالــتْ ممنّعــةً بكْرَا

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلّتْ عن حقائقِنا الصُّغْرى

هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسّــحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً علي وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرةٍ منذ ستة أعوام ؛ أرِقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتٍ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابرِ[1]؟

من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلِّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟

ينقِّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويخطــرُ في هَمْسٍ كهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولهِ كلُّ نَأمَةٍ سِــوى قلبهِ الخفاقِ بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشَّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشِــفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ

وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يســيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدي المقادرِ!

وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادِرٌ وسَاءَل عنه الشِّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]

وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طَلْسَــمُ سِرِّه لعلَّ! فمــن يَدْرِي بســرِّ المقابرِ؟

ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهامِ الحيــاةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـــا؟، ألا تُهدي اليقـــينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبَّما تُعْطِي الجوابَ لســـائلٍ ورُبَّمـــا تجلُـــو المصـــيرَ لشـــاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَســـمَّع هَمْســـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فَأقلـــقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ وسَـــاهرِ»؟
«أما يَقْنَـــعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟ أيَا ويحَ للأحيـــاءِ صَرْعَى المَظَاهرِ»
«تَركْنا لهـــم دُنْياهُمـــو وديارَهم ولم يَدَعُونـــا في حِمى غـــيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـــم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَـــةِ إشـــفاقٍ، ونَبْرةِ سَـــاخِرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقـــظَ في أحْشَـــائه كلَّ سَـــادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـــو إلى قبرِ مَيّتٍ لَـــهُ عنده وَجْـــدٌ وتَحنـــانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـــه منها التَّذَكُّـــرُ والهوى وتُبْعِـــدُه عنهـــا غِلاظُ السَّـــتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم! يُغَشّـــى عَلى أبصارِهـــم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أســـىً وَنَبْـــرةُ تَحنـــانٍ، وكِتْمـــانُ صَابرِ
«ألا رُبَّما كانـــتْ ثَكُولاً حَزينةً على فَلْـــذةٍ مِـــنْ قَلبِهـــا المُتَناثرِ»
«ورُبَّما كانتْ عَجُـــوراً تَأيَّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وَقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهِم كلَّ مَذْهِب   وفيما حَوَتْه نَفْسُــــه مِنْ مَشـــاعِرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخ يدْوِي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظاهِرِ

«مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ   فأقلق منَّـــا كلَّ غَافٍ وسَـــاهِرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياء؛ والقلبُ خافِقٌ   مِنَ الوَجَلِ الأخَّاذِ، في صَوْتٍ حاسِرٍ

«أنـــا الحيُّ لمَّا يدرِ أســـبابَ خَلْقِه   أنا المُدْلِجُ الحيرانُ بـــينَ الخواطِرِ»

دلفـــتُ إلى وادِي المَنَايَـــا لَعلَّني   أفـــوزُ بســـرٍّ في حَنَايـــاه غَائـــرِ؟

أمـــا تَعلَمُون السّـــر في خَلقِ عَالمٍ   يموتُ ويَحيَـــا بينَ حـــينٍ وآخرِ؟

وَتكْنُفُـــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَـــتى المَخاطِرِ؟

وليـــس لَـــه من غايـــةٍ غـــيرَ أنَّهُ   مَسُـــوقٌ إلى تحقيـــقِ رَغْبـــةِ قَاهرِ!

ضنينٌ بمـــا يَبغِيـــه ليـــس يُبيحُه   لســـائله عَمَّـــا وراءَ الظَّواهـــرِ

ومـــاذا لقِيتم بعد ما قَـــدْ خَلَعْتُمو   قيـــودَ الليالي الخادعـــاتِ المَواكرِ؟

وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَـــلْ يتجلَّـــى مـــرةً للنواظـــرِ؟

سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُـــه، بينَ الشـــكوكِ الكَوافِرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهـــولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُـــه الأخطـــارُ جَـــدَّ غَوامرِ؟

كذلك سَـــادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ علـــى أرواحِهـــم والضَّمائرِ

وأذْهَـــلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضَتْ   من البَهْـــرِ[٩٢] والإعياءِ دقَّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوِي كأنّه يُحَـدّثُ منْ كَوْنٍ قَصِـيِّ المَعَابرِ!

أيـا وَيْلهـا تلك الحيـاةَ وأهلهَا تُكَشِّـفُ عن بلوائِها كلَّ سَـاترِ!

وتطلبُ أسـبابَ الشَّقاء لنفسِها! فتضرِبُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!

لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنا وهَـدَأ في أفكارنـا كلُّ نَافـرِ

نسـينا سـؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يـردّدُهُ حـيرانَ في حَـزَرٍ حَازرِ

نسـيناه فارتحْنا مـن الحَيْرةِ التي خَسِـرْنا بها الأعمارَ جَـدَّ نواضرِ

وها أنـت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً ويـا لكَ مخدوعـاً بسـرِّ المَقَابرِ!

وهـا نَحن وَدَّعنا هـدوءاً وهينةً شـريناهما بالعُمرِ، يا للخسـائرِ!

أريْتَ لو أنَّ الهـولَ صَوَّرَ منظراً تجلُّلـه الأخطـارُ جَـدَّ غَوامرِ؟

كذلك سَـادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علـى أرواحِهـم والضمائرِ

وأذهَلَ هَاتيك النفَوسَ فخفضتْ من البهـرِ والإعياء دَقـاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحسـرةٍ ولهفـةِ محـرومٍ، وإعيـاءِ خَائـرِ

لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشـفِ عـن كلِّ ضَامرِ

فألفى سَـراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فـوا ندمـاً عـن بحثِـه المُتَواترِ!

فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْـفَ السَّتائرِ

ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ فيَطْـوِي حَيا عُمرهِ رِبْحَ خَاسـرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، وودَّ لو أن الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفة واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب ... بكل مصابٍ فادحِ العبْء صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ ... تُملُّ، ويَا بئْسَ الأسى من مُصَاحبِ!

ودّ لـو أنَّ الدهرَ يُعْفِيـه بُرهةً ... من الغابـرِ المملولِ جَـمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لـه الأقـدارُ في أُمْنياته ... علـى أنها لم تُصْغِ يومـاً لِطالبِ

وأعْفَتْـه مـن ماضِيه حـتى كأنّه ... وليدٌ خَلِيُّ القلـبِ من كلِّ نائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّـنينَ الغَوارِبِ ... ونَحّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]

وعَـادَ طليقـاً لا يُعـوّقُ خَطْوَه ... مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنِيـه خَوفُ العَواقبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امّحى   وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

وآضِ وليدُ اليومِ في مَيْعةِ الصِّبا   جديداً بدنياه؛ جديدَ المطالبِ(١)

بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى   وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ(٢)

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوَانَ مُوحشاً   كما أُفْرِدَ الإنْسيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَاه في هذي الحياةِ كأنَّه   غريبُ عَرا، في عَالَمٍ منْ غَرائبِ(٣)

وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا   إلى الأوجِ لم يُسْعِفْه عزمُ المُغالبِ

وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ   تَضاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثِبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمالَ عَرْجاء لم تجدْ   لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها   ويُوسِعُها في شَكْوِه عَتْبَ عاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً   له – عوضاً من غابرٍ منه خَائبِ

بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى!   فيحيا على رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ له الأقْدارُ في أُمنياته   على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ!

وأعطتْه أنْقى صفحةٍ في كِتَابها   لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله
٢- آداه: قوّاه وأعانه
٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنــه ألفــاه لم يغــدُ مالــكاً لِمــا مَنَحَتْــه مِنْ عَزيــزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِــف خَبيئةَ نفسِــه لذياك الماضي الــذي لَمْ يُصَاحِبِ!

وأَبْصَــرَ بالآمــالِ حَــيرى كأنما تَســاءَلُ عن دَاعٍ لها جَــدِّ دَائبِ

دَعَاهَــا فلمَّا أقْبلتَ من سَــمائِها رأتْ غيرَه في غَفْلَــةٍ غيرَ رَاقبِ[1]

ومــا الأملُ «البسَّــامُ» إلاّ رغيبةٌ لنفسٍ ترى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضبِ»

* * *

فَعَــادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُــبُ عَوْنَها عَلى رَجْعِ مَاضيه بِحَسْــرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفــاً لِمُرِّ التجاربِ وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لــه الأقــدارُ في أمنياته علــى أنّها لَم تُصْــغِ يوماً لِطالبِ!

وعَــادَ إلى دُنْيــاه مِنْ بَعْــدِ غُربةٍ وألقتْ عَصَاها واســتقرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِري وكوني سَمِيري، بعد أنْ نامَ سُمَّرِي

سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى وهوّم في جوفِ الدُّجى رُوحُ خيّرِ[1]

يُطيفُ على العَانِين بالعطفِ والرِّضا ويغمــرُ بالإغفــاءِ رأسَ المفكــرِ

وينتظــمُ الدنيــا هــدوءاً كأنهــا عــوالمُ في وادِي المُــنى لم تُصــوَّرِ

فلا صوْتَ إلا خَفْقــةٌ من جوانحٍ كما خفقتْ للضــوءِ عينُ المُصوِّرِ

ولَــمْ يَبْقَ من تلك الحيــاة وأهلِها سوى طيفِها السَّارِي بوادِي التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفســي مِن عهودٍ ســحيقةٍ ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدِي!

أُحِسُّــكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى مُحيَّــاكِ إلا كالخيــالِ المُشَــرَّدِ

علمتُكِ حــتى أنتِ مِنّــي بُضْعةٌ جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْــهدِ

ويــا طَالما أخلفــتِ لي كلَّ مَوْعدٍ ويــا طالما ألقــاكِ في غــيرِ مَوْعِدِ!

عبجتُ فكــمْ مِنْ نفــرةٍ تَنْفُرِينها على فَرْطِ مــا تُبْدِينه مــن تَودُّدِ!

حديثُكِ من نفســي قريبٌ؛ وإنما إخالُــكِ في وادٍ من التِّيه سَــرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفســـي، ما تُرى أنتِ؟ إنني   أريـــدُكِ في جوٍّ من الضـــوءِ مَعلَمِ

أعنصـــرُكِ الإيمـــان والطُّهرُ أصلُه   وإلا إلى الكفـــرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟

وفي أي وادٍ أنْتِ تســـرين خِلْسَةً؟   ومـــن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهِمِ؟

وكم فيك من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ   تَجاوزَتـــا في حَشْـــدِكِ المتَزَحِّـــمِ

وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيَك مَأملٌ   وكم مـــن تَردٍّ، أو وثـــوبٍ تَقَحُّمِ

وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةٌ   ومِنْ رُشْـــدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفســـي في ثنايـــاكِ مَعْرِضٌ   لمـــا لَقِيَتْـــهُ الأرضُ في الجَـــوَلاَنِ

وفيـــك من الآبـــادِ ســـرٌّ وروعةٌ   وفيـــك صِراعاتٌ بـــكلِّ زمانِ[1]

وفيك الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِهِ   وفيك الْتقَى الرُّوحـــيُّ والحَيوانِي

وإنـــكِ طَلْســـمُ الحيـــاةِ جميعها   وصورتُها الصُّغـــرى بكلِّ مكانِ[2]

أبينِي إذنْ عن ذلـــك العالمِ الذي   تضمَّنتـــهِ مـــن صُـــورةٍ ومَعَـــانِ

أبينِـــي أُطَالِعْ في ثنايـــاكِ مَا مَضَى   ومـــا هُـــو آتٍ مِـــنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .

٢- الطِّلَسْمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِــلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللَّيلِ تَمَشَّــتْ كالحيَّــةِ الرَّقْطــاءِ
تُوقظُ الجِسْــمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ وتَطغــى علــى الحِجَا والــذكَاءِ
وَهْيَ من خشــيةِ الضَّميرِ توارَى في زَوايــا الميــولِ والأهــواءِ
فــإذا شَــعَّ مِنْ سَــنَاهُ شــعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانــزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّــم الظَّــلامُ تــراءَتْ في احتــراسٍ مــن أعــينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظــةٌ تلــك ثم خَيَّــم صمتٌ وظَــلامٌ؛ فما تَــرَى مِــنْ ضِيَاءِ
فمضــتْ تُضــرِمُ الغريــزةَ ناراً وتُثــيرُ الشُّــواظَ بــين الدِّمــاءِ
البِدارِ البِــدارِ يا أيها الْجِسْــــمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنســان) حين تبدَّى (حيــوانٌ) ذو شِــرَّةٍ نَكْــرَاءِ
وإذا بالخطيئَــةِ السّــوْءِ نَشْــوَى بانتصــارٍ، نالتْــهُ في الظَّلْمَــاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوَّارةٌ من جهنمِ تَسـيُل شَـظَاياها، وتنضَحُ بالدَّمِ

هو القيظُ قد فـازتْ ينابيعُ وَقْدِه وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ

وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ من الشـمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ

فمَال إلى الرّاعي الشّطوطِ قطيعُه يَبـثُّ رجـاءً في ثُغَـاءٍ مُتَمْتـمِ

ونَاجَاه، ويحَ الظلّ إنْ نحن لم نَملْ إليـه، ويا بُؤْسَـاه سـعياً لِمَغْنَمِ!

عَيينا بهذا الضَّـرْب في كلّ حَرَّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَـرابٍ ومَطْعَمِ[1]

وما أنتَ – لو تدرِي – برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحـن؛ إنَّا كَلّنَا ذلـك العَمِي!

نسـيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى سِـوى ظِلّنا، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ

يُسَـخِّرُنا مَـنْ لا نـراه، لغايةٍ يَراهـا، ولم نُـؤذَنْ بهـا أو نُفَهَّمِ!

فيا أيُّهـا الرَّاعِي هـدوءًا وهَيْنَةً إلى الظـلّ نَرْتَعْ لحظـةً أو نُهوّمِ[2]

فمـالَ به الرّاعي إلى ظـلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١ – الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢ – النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى   وثـــابَ إليها الظِّــلُّ في غير مَعْجَلَ

وألْقَـــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســـمه   وقد ضَافَه بالأيْنِ طـــولُ التنقلِ[1]

وراغَ إلى المـــاء القطيـــعُ كأنما   تَدَهْدَهَ جَرفٌ مـــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ

يَعُبُّ وَيستســـقي بشـــوقٍ ولهفةٍ   ويُفْعَـــمُ ريًّـــا مـــن مُعـــلٍّ ومَنْهلِ

فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً   وقد حلَّ في أعضائـــه كلَّ مَفْصِلِ

فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له   رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ

توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ   مَداخِلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[2]

كأنَّ شـــاءَ ذياك القطيـــعِ تَوَحُّداً   فأغفـــلَ ذاك الرأسَ رمـــزَ التعقلِ

ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُـــهم   وما يَقتضيـــه من طِمـــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ   وجالـــتْ به الأحـــلامُ كلَّ مَجالِ

لقـــد هبطَ الـــوادى فَألْقَـــاه جنةً   بمـــا فيه مـــن خَفْضٍ وهَـــدْأة بَالِ

ومـــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَـــالِ مَنْهلٍ   يَحُفُّ به عُشـــبٌ وفيـــضُ ظِلالِ

ألاَ إنـــه هـــذا النعيـــمُ ، وإنها   هي الجنـــةُ الفَيْحاء خلـــقُ خَيالِ!

وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، يالَه   من الخوف في هَـــوْلٍ به وصِيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.

٢- الزَّرد: حلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حلق.

٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــش من كل فاتكٍ   قـــد اختلطـــتْ أصواتُـــه كعَوالِ

وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها   زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]

فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه   ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال

فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه   إلى الثّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ

وأطرقَ يستوحي الرُّؤىَ ويحها الرؤى   إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالِمِ؟

وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها   لآ مأل رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالِمِ !

وأين هـــو الغابُ الرّعيـــب؟ وإنّه   ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالِمِ

لأعيـــاه تَاؤيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه   يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ

فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه   خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ

فرجّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وزْنُها   وألحانُهـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالِمِ

فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً   كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعِمِ

وقد رقَّتْ الآصالُ وانْسلّتِ الصَّبا   وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ

فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ   ولـــذَّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارِمِ

وغَشَّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوَّ متْ   ونامـــتْ كطفل في الغِـــرارةِ هَائِمِ

* * *

١- الصِّلُّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصِّلال.

على القمة*

نظــرتُ إليها وهي شَــمَّاءُ تذهبُ　　كما لاَحَ في أفْقِ السمواتِ كوكبُ

فأعجبــني منها السُّــموقُ وهَالَنِى　　تَطاولُها والرِّيح تَطغى وتَصخبُ[1]

وطــارَ خيــالي فوقَهــا ووراءَها　　يصــوِّر مــن أطيافِهــا مــا تَغيَّبُ

عجائــبُ لَم تَخْطُر على البالِ مِثْلُها　　ودُنيا من الأحــلام تَزْهُو وتعجبُ

وقلت: ســعيدٌ من تطــاولَ كَفُّهُ　　ذَرَاها وتــدرى عينُه مــا تَحجبُ

دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْــبِق الخُطَا　　وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ

هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه　　وتهفُــو رُؤاه مغْريــاتٌ وتَغْــرُبُ

هو الشــوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ　　إليهــا فيرقــى في الحيــاة ويَغلبُ

دَلفْــتُ فلم أنْظُــرْ إلى الخلفِ مرةً　　وهل ينظرُ العَجْلانُ مــاذا يُعَقِّبُ؟

وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُسْــرَةٍ　　وأنْسَــتْنِي الأشــواقُ أنِّــي مُتْعَبُ

هنا القِمَّةُ الشَــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا!　　ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ

تأمَّلْتُهــا فرحــانَ أخفقُ نَشْــوةً　　وأوشــكُ أُغْذي سَــنَاهَا وأشْرَبُ

وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْــرَفُ بُقْعةٍ　　وأرْحَب أفقٍ في الســماوات يَرقُبُ

وإنّــك مِن فــوقِ التــلالِ طَلِيقةٌ　　ولم يَبْــقَ مَســتورٌ عليــك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرِّي هنــــا يا نفسُ جَدٌّ ســــعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري وبي نَشْــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُـــبُ

فمـــا رَاعَـــني إلاّ الزمـــانُ يَلُفُّني إلى الضِّفَّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أيـــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويـــدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطـــوى الأمَاني وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْـــزَى الذي جَدَّ جَدُّه إلى القمةِ الشـــمّاءِ، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّـــفَ في ناءٍ من السّـــفْحِ زَادَه وما عَـــزّه في ذلك الوعـــرِ مَرْكبُ

رويـــدكَ يا هـــذا الزمـــانُ فإنني من الهوّةِ الجَرْداءِ أخْشَـــى وأَرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســـير فانطلقْ إلى الخلـــفِ إنّي عَاذرٌ لـــك مُعْتبُ

تَألّفْتُـــه يومـــاً فإنْ عُـــدتُ لم أَعُدْ إلى غربـــةٍ تجفُـــو علـــيَّ وتَنْكُبُ

ولكنّـــه لم يُصْـــغِ لي في ضَرَاعتِي ومـــازال يَهْـــوِي بي ولا يَنْكُـــبُ

إلى الهوةِ الجـــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهـــوةِ الجرداءِ فالدّهْـــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بنَفْسِي بينَ التأوُّهِ والتأسِّي

وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسِّي

هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لَوكْسِ[1]

جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رضاً وأُنْسِ

نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنىً بِغَرْسِ

وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسِّ

فهممتُ أدعوها دعا ءَ الفَنِّ في خطراتِ همسِ

شعراً يسِّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ

وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخسِ!

يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ وَنَطْسِ[2]

بَيْنَا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لقُدْسِ!

* * *

وإِذا التي جاشَتْ بِنَفْسِي تُثَوّى مُضَرّجَةً بِحِسّي!

* * *

---

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعيــنى في كلِّ يــومٍ بِوَجْــهٍ فلديكِ الوجــوُهُ شــتَّــى طريفَهْ
وَافْجَئِينِــى لديــك بالخَطْرِ المَحبو بِ يُجَــدِّدْ حياتَنــا المَأْلُوفَــهْ
بِــتُّ أَشْــتَاقُهُ وأرقُــبُ مَــاذَا يَحْمِــلُ اليومُ من أمــانٍ مَخُوفَهْ!
كلَّ سَــمْتٍ أراكِ فيــهِ جميــلٌ كلُّ ظــلٍّ أراكِ فيــه شَــفيفَه
أنــتِ مــا أنــتِ؟ عَالَــمٌ مُترامٍ أَبْــدَعَ الفــنُّ والمُنَــى تَأْلِيفَــهْ
أنــت كُثْــرٌ ففيكِ تَحْيَــا طُيُوفٌ كلُّ طَيــفٍ لــه رُؤاهُ المُطيفَــهْ
تــارَةً أنــتِ حَــرَّةٌ أصْطَليهَــا وإذَا أنــتِ كالرِّيــاضِ الوَرِيفَــهْ
وَتَلُوحِــينَ قِطْعَــةً مِــن حَنــانٍ وَتَلُوحِــينَ بَعْــدَ حِــينٍ مُخيفَــهْ!
وأرى فيــكِ طِفْلَــةً لم تبــارحْ مَلْعَــبَ الطِّفْلةِ. اللَّعــوبِ الخَفيفَهْ
وإذَا أنــتِ قَهْرَمَانَــةُ دَهْــرٍ مُوْغِــلٍ في المَسَــارِبِ المَلْفُوفَــهْ[1]
وإذا ما انْطويتِ أمسَــيتِ سِــرًّا صَانَــهُ الدَّهْــرُ مُحْكَمــاً تَغْليفَه
وإذَا مــا انطلَقْــتِ مثلَ شُــعَاعٍ كنــتِ رَقْرَاقَــةً وكنــتِ لَطيفَــهْ
لــكِ طَعْــمٌ أذُوقُــهُ بــل طُعُومٌ كُلُّهَــا نَاضِــجٌ هَويــتُ قُطُوفَــهْ
هُــوَ طَعْمُ الحياةِ في فَــوْرَةِ النُّضْجِ شَــهِيٌّ الْجَنَــى خَبــرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١- قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام *

إلى الظَّلام الأمينِ تَحدَّري يَا سَفِيني
وَجَانِبي كُلَّ نُورٍ النُّورُ يُؤذِي جُفُونِي
لَقَدْ حَطَمْتُ شِرَاعِي ومِجْدَافِي ويَمينِي
وهَدَّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُون
أخْشَاه أخْشَاه جُهدِي فَحَاذِري يا سَفِيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسِي بِعبْءِ السِّنين
أُرِيدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُونِ
أُزِيحُ فيهِ قَليلاً عَنْ عَاتِقِي المَوْهُونِ
وأستريحُ رُويداً مِن الصِّراعِ الحَرُونِ(١)
وقد أُعاوِدُ سَيْرِي في اللُّجِ أزجِي سفيني

* * *

إلى الظلامِ الأمينِ إلى مَلاذِ السُّكُون
طَالَ التَيقُّظُ حتَّى أعْشَى السُّهادُ عُيونِي(٢)
إلى المَسَارِبِ فَامْضِي لأنْزَوِي عَن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويَأسِي وكلِّ ما يَعْنِينِي
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فَأوْغِلي يَا سَفِيني

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد : الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق*

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــرِ هُنا لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ ومَضينَا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقْ مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِي مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِــفُ الحــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِي في طَريــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتطلَّعــُت إلى هــذا الشَّــتاتِ وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لَتَمَلَّيــُت شِــيَاتِي وسِــماتِي وأمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتــي[2]
وحَمَاقَاتــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي والهَــوى الحَانــي الــذي ظَلَّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١- المَوهِنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه. والمراد ليلاً.
٢- شِياتي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَــدتُ أن أقْضِي عُمرِي   وأنــا أُخْلِصُهــا سِــرّى وجَهْرِي
وإذَا السّــوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَري   حيثُ لا أسْــتطِيعُ رَيْثــاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَــالُ والآلامُ خَلْفِــي   سَــاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيــدي وخُلْفِي
مُلْقَيــاتٌ بَــينَ إهمــالٍ مُسِــفٍّ   لم أُوَدِّعْهــا. فيــا وَاحَزَنَــا![2]

* * *

أيُّهــا الحَــادِي ألا فامــضِ بِنَا   قــد أثــارتْ ذِكْرَياتِي الشَّــجَنَا
لم نعُــدْ نَجــزعُ لو تَحْــدُو لَنَا: «نحــن لا نَرْجَــع يوماً هــا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أسَفّ: إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْـــتَ أوْغلتَ في الظــلامِ طويلاَ   فمتى يـــا رفيـــقُ تبغـــى القُفولا؟

شـــدَّ ما آدَنَا التخبُّـــطُ في الليلِ   وخِفْنـــا ظلامَـــه المدخـــولا![1]

ورأينَـــا الأوهامَ تبدو شـــخوصاً   ورأينا الشـــخوصَ تبدو هَيُولَى[2]

وَخَبَرْنـــا فلـــم يُفِدْنـــا اختبـــارٌ   وسَـــخِرْنَا مِمَّـــا خَبَرْنَـــا طَويـــلاَ

يـــا رفيقـــي. إذا قَـــدَرْتَ فأوِّبْ   إن هـــذا الظـــلامَ يُضْنِـــي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـــى الضيـــاءَ أُبْصِر فيها   ذكريـــاتي تبدلـــتْ تبديـــلاَ

أنا أخْشـــى النَّهار يكشـــفُ عني   كلَّ وَهْـــمٍ أرُودُه تعليـــلا

أنـــا يا صاحـــبي أُشِـــيحُ بوجهي   أنـــا أرى عهْدنـــا تَـــرَدَّى قتيلا

أنا يَـــا صَاحِـــبي أُدافِـــع عَقْلِي   أنْ يَـــرُودَ الْيَقـــين جَهمـــاً ثَقِيلاً

الظَّـــلامُ الظّـــلام أرْوَحُ للقلبِ   ولـــو كان لا يُريـــح العقـــولا!

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قالبلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْــمى وَأغْلى أن تُقَضّــى كــذاك وهمــاً ضئيلاً

يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً أن تُضحّــى ســاعتها تخْييــلا

أُبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ كلَّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى

وتطلَّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاَ؟

عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ مُسْــتثارَ الإِحســاسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــي أفقــدُ الــدَّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ

ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدِي كلُّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ

أتُراني أُجــدِّدُ الذُّخــر والعُمــ رمُــوَلٍ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاَ؟

أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا

أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال *

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيـالٌ سَـارِبٌ إثْـرَ خيـالْ
في متاهـاتِ وجـودِ لـزوالْ كبقايـا الخطـو في وجـه الرّمالْ

زُمَـرٌ تَدْلـفُ في إثْـرِ زمَـرْ وَيْحَ نفسـي ! إنه ركبُ البشـر
مغمـضُ العَيْنَيْن في كَـفِّ القدَرْ كلّمـا أوْغَـلَ في التِّيـهِ انْدَثَـرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيَّانَ سَـارَا؟ مـا أرى في إثْـره حتّـى غُبَـارَا
مـا أرى قبراً ومـا أُبْصِـرُ دَارَا ضَلّـةً لي! ذاكَ ظِـلٌّ وتَـوَارَى[1]

* * *

مِنْ ظَـلامِ الغيبِ في التيـهِ البعيدْ لظَـلامِ الغيـبِ في التيـهِ المديدْ
وَمْضَـةٌ كالـبرق تجتـازُ الوجودْ ويُسَـمِّيها بنُـو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَـةٌ رَاقَـتْ لأبنـاءِ الفَنَـاءْ حينمـا أعْيا علـى الأرضِ البَقَاءْ
المسـاكينُ هَبَـاءٌ في فَضَـاءْ رَحْمَـةً للذرِّ في مَسْـرَى الهواءْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٦

١ - الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِــسُّ الوافدين   أو أرى الأرضَ تَحـــسُّ الرّاحلينْ

كلُّ مَـــا كَانَ وما ســـوف يَكُونْ   نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّـــكُونْ

* * *

خَطَـــواتٌ ذاهبـــاتٌ في الرِّمَالْ   وخيـــالاتٌ تَـــرَاءَتْ لخيـــالْ

وشُـــخَوصٌ تتـــوارى كظـــلالْ   للزوالِ... كلُّ شـــيءٍ للـــزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَـــالَمكِ الزمانُ ولا أنَا لا أنْـــت داعيةٌ ولا أنا مُسْـــتَجيبْ
هـــذي مَياســـمُه على قَسَـــمَاتنا قَـــرَّتْ أمانينا على الأُفُـــقِ القَريبْ
ودَبيبُـــه ينســـابُ في خَطَرَاتنـــا ويَكْشفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْســـلُ من خيـــوطِ حَياتنا وبدوت عاريةً مـــن الألَقِ العجيبْ
ويَـــدُ البلى تَطوِي الرغائبَ والمُنى وبدوتُ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ما الأحلام؟ما الشوقُ الدفينُ ألقـــاكَ كالذكرى تَمـــرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟ كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ[1]
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـــحِ بالفتونِ؟ كالرســـمِ يَبْهتُ لا يَبِـــينُ لناظرِ
ما اللهفـــةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟ كبصيـــصِ نارٍ في الرمـــادِ الفَاترِ
مـــرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ الســـنينَ! وَيْحي وويحُكِ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ وَيْحي وويحُك ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّـــزُ النَظَـــراتِ في ألَـــقٍ مُثيرٍ خُـــدَعٌ تُهَدْهدُنا بهـــا الأُمُّ الولودْ
وتَوثُّـــبُ اللفتـــاتِ في لَهَفٍ حَرورٍ ويدُ البلى تَطْوِي القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّـــبُ الرَّغَباتِ في قَلَـــقٍ غَريرٍ والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]
ويَحْيِ وويحُكِ قَـــدْ تَعاروَها الفُتُورُ والنـــاسُ والأيـــامُ والدُّنيـــا عَبيدْ

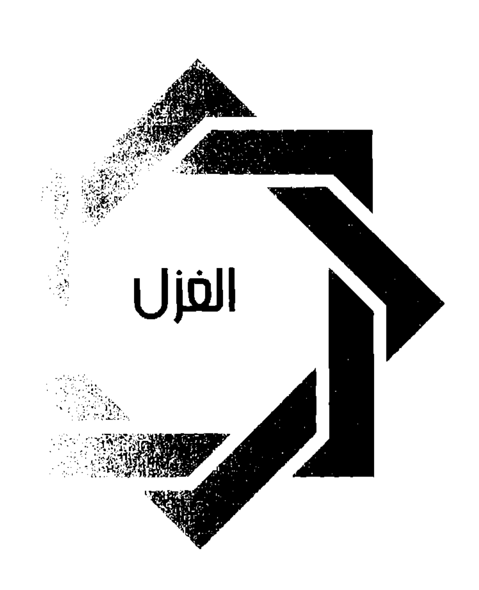
* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.



هيَ أَنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفِي حناناً

وهي تهفُو في ظِلِّها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَةِ العـــينِ في أضْغَاثِ أَحْلامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحـــبِّ عن وَحْـــيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقـــةَ الحـــسِّ في رِفْـــقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصـــرُ ليلاتِـــي وأخْلَدُها وأنـــتِ أَزْهَـــرُ سَـــاعَاتِي وأيامِي
فيـــكِ التقينا فـــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّـــامِ
ورُوحٌ من الحبِّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النَّامي
ويُنْشِـــدُ الحـــبُّ أنغامـــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطقِ السَّـــامي
باللَّيـــلِ يَتلُو على الأكـــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليـــلَ في شَـــدْوٍ وأَنْغامِ

* * *

يـــا ليلةَ الأمسِ هَـــلا أنتِ عائدةٌ إلى الزمـــانِ فَأنْسَـــى كلَ آلامِـــي
إنّـــي لألْمَحُ طيفاً مِنكِ يُؤْنسُـــني في وَحْشَـــتي بـــينَ أيقـــاظٍ ونُوَّامِ
ذكـــراكِ باقيةٌ مهمـــا يَطُلْ زَمني فأنـــتِ زهـــرةُ أيامِـــي وأعْوَامِي
فيـــكِ أوَّلُ آمَـــالي وآخُرهـــا وأنـــتِ مَنْبَـــعُ إمْـــدَادي وإلهامي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ مُذْ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟
أكذا تمضي بقِّياتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلم . آهٍ إن يكن هذا فما أقسى القَدْر!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف ورَيّاها الوفْاء؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شد ما ألقاه في هذا النَّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعِرُ النفسُ الجوى فَتلظَّى في شُعورٍ كَالجحيمْ
ليتني أدْرِي – وإن لم يُشْفِني – كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ ألَمْ!
ربَّ إحساسِ أليمٍ شَفَّني لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ سَاكِباتٌ تَنْهَمِرْ
أتَرى آلمُ للقلبِ الكَليم مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفَاراً مُجْدِبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةٍ لا يُدانيها البَشَرْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.

١– ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢– ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣– شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيــحُ تَحميــه الهبوبَ   دَقَّ نَاقــوسٌ بــه عندَ السَّــحَرْ؟

ذَاك قَلْــبي بعــدَ فُقْــدانِ الأملِ   مُوحِــشٌ يَطْرقُــه صوتٌ سَــحِيقْ

تبعــثُ الذكرى صَــدَاه إذْ تُطلُّ   مُشْــجياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ

ما الــذي كانَ وماذَا سَــيكُونْ؟   لســتُ أدْرِي مَا جَوابي، لا جَوابْ!

لَيتــني أدرِي خَبيئَــاتِ الســنينْ   إن فِراقــاً أو يَكُــن بعــدُ اقترابْ

إيــه يــا مِــلءَ فُــؤادِي ومُنَاهْ   إيــه يــا رمــزَ الأمَــاني والأمــلْ

يا نســيماً ضَــمَّ أنْفَــاسَ الحياةْ   نَفْحَــةٌ تُهْــدِي إلى مَيْــتٍ أجَــلْ

أنــا إذ ألْقَــاك عَفْــواً لا أُحِسُّ   فيــكَ جســمْاً كبقيات الجسُــومْ

إنمــا ألقــاكَ طَيفــاً لا يُحَــسّ   طائفــاً يَهفُو كمــا يَهفُو النَّســيمْ

في خَيــالي أنــتَ أنْقَــى وأرقّ   أنــتَ رُوحُ فيــه أو طيــفُ مَلَكْ

بجناحَيــه تَــراءى فخفــقَ   بســناءٍ هــادئٍ يُغْــرِي الحَلَــكْ

أفَــلا لُقْيــا بِثغــرٍ بَاســمٍ؟   أفَــلا قلــبٌ أُناجيــه سَــميعْ؟

أفــلا شَــكْوى فــؤادٍ هائــمٍ؟   أفلا نَجْــوى بِصَمَتٍ وخُشُــوعْ؟

«بِحَياتِــي أفْتَدِي هــذا اللقاءَ»   وأمانِــيَّ ومــا ضَمَّــتْ يَــدَاي

وبِنَفْسِــي لو دَنا عهــدُ الرِّضَاءِ   فَمَحــا بُؤْسِــي وأوْدَى بجَــواي

وأوَى قلبــين في بُــرْدِ الوَفــاءِ   مثــلَ مــا كانَــا شَــقيقَيْ مَوْلدِ

ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدنِي رَجاءَ   فَلأَمُــتْ أو أبــقَ حِلْــفَ الكَمَدِ

* * *

طيف!!*

هو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً   مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَـهْلاَ

* * *

هَــوَّمَ النَّـومُ وأرْخَــى رِيشَــه   واحتــواني بجَنــاحٍ قَــد تَدلّــى

وانــزوى العَــالمُ عنّــي وخَبَتْ   ضَجَّــةُ الكــونِ وما فيــه وَوَلّى

ها هُنــا في النــومِ ألْقَــى عَالَماً   هَادئــاً رَحْبــاً وبَسّــاماً مُظــلاّ

وتَراءى الطيفُ سَـمْحاً رَاضِياً   بَاسمــاً كالأمــلِ الحُلــو وأحْلَــى

هُو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً   مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســتمعْ لَحْنَ فُؤادِي   إنّــه لَحْــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُــبٍّ وَوِدَادٍ   وهَيــامٍ بين أحْنــاء الضُّلُــوعْ[1]

إنَّــه أُنْشُــودَتي أخْلُــو إليهــا   بَــينَ صَمْــتٍ وهَيــامٍ وخُشُــوعْ

إنــه لَحْــنٌ أُغَنّيــهِ وَقلْبِــي   خَافقٌ والعــينُ تَهْمِــي بالدّمُوعْ[2]

أدْنُ مِني فاســتمع لَحْــنَ فُؤادِي   إنّــه لَحــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

١- أحناء: الأضلاع

هـــاك قَلْبِـــي فتســـمّعْ خَفقاتِـــه   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتثارُ الخَفقـــاتِ

* * *

بَلَّـــلِ الْوَجْـــدَ وهَـــدَّىء زَفرَاتِه   فهـــو قَلْـــبٌ ضَيـــقٌ بالزَّفَـــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادِي   بعد ما قَـــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشَـــكاةِ

هـــاكَ قَلْبِـــي فتســـمّعْ خَفقَاتِه   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتَثارُ الخَفقَـــاتِ

* * *

أنْـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ أو رَمْـــزُ السَّـــلامِ

* * *

لـــك مِنّـــي كُلُّ مَعْـــنى قُدْسِـــيّ   يَهْمِـــسُ الحـــبُّ بِـــه بـــينَ الأنامِ

أنـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّـــلامِ

* * *

صوت؟!*

تُذَكِّـرُني الماضي فآسـى لِذكْرِه ... وتُوقظُ أشْـجَاني وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاسِـي بأنغامكَ التي ... تحـدِّثُ عـن قلـبي إذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى ... فخلَّفَـه نِضْـواً من الهـمِّ واهيَا[1]
تُهيـجُ بِـه الأنغـامُ آلامَه التي ... تحمّلَهـا بالرغـم أسْـوانَ رَاضيَا!
تحمَّلها لم يَشْـكُ للنـاسِ ثِقْلَها ... وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شـاكيَا

* * *

تُذَكِّـرُني حُبَّـا قديمـاً دفنتُـه ... ونفضتُ كَفِّي يائسـاً منه آسـيَا
ورحـتُ أواري كلَّ آثـارِه التي ... تَراءى فَتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثـتُ به حيّـاً يُطِـلُّ ويَنْزَوِي ... ويفتـحُ أجْفَانـاً مِراضاً سَـواهيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها ... تُمَـزِّقُ أشـتاتاً وتبـدُو بَواليَـا
هو اليَـومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه ... فلا هـو مَعْدومـاً ولا هُـو باقيَا
هو اليـومَ آلامٌ وقـد كان مُتْعةً ... ورُوحـاً ورَيْحاناً وطَيْفـاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما ... بعثتُ بـه صوتاً من الثغرِ شَـاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحيـاة فرجَّعَتْ ... أغاريدَه كالنُّـوحِ أسْـوَانَ دَاويَا
وحدَّثْتَنَـا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُـنا ... فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَـاهيَا[2]
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا ... ونُمْسِـكُ أكبـاداً تَنَـزَّى دَواميَا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢-أكنَّت: أخفت.

هي أنت *

هـــي أنتِ الـــتي خُلِقَـــتْ لنحيَا في ظـــلالٍ مِـــنَ الوفاءِ الرشـــيدِ؟

كحيـــاةِ الأرواحِ تُضْفِـــي حنانـاً وهـــي تهفُـــو في ظلِّها الممـــدودِ؟

حيثُمـــا الحـــبُّ طائـــفٌ يَتَراءى كالمـــلاكِ المهـــوِّمِ المَكْـــدُودِ

حَانـــي العِطْفِ إذ يَضـــمُّ علينا ضمـــةَ الأمِّ رَحْمَـــةً بالوليـــدِ

فـــإذا الكـــونُ والحيـــاةُ جمـــالٌ وإذَا العيـــشُ فُسْـــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْـــتِ التي أطافتْ بنفســـي وتـــراءتْ في خَاطِري مِـــن بعيدِ؟

حينمـــا كنـــتُ هائمـــاً أتلقـــى أغنيـــاتِ الآمالِ شَـــتَّى النشـــيدِ؟

في ظِـــلالٍ مِـــنَ الأمانِـــي تَتْرى بَـــينَ وادي التعِلَّـــةِ المعهـــودِ![1]

إذْ تَراءَيْـــتِ هَالـــةً مِـــنْ رجاءٍ هَـــادئٍ لَيِّـــنٍ رفيـــقٍ وَئيـــدِ[2]

ثم دَانَيْـــتِ في دَلالٍ وديـــعٍ ثم باعـــدتِ في دلالٍ شَـــرودٍ؟

* * *

هي أنـــتِ التي تلاقيـــت رُوحاً مع روحِـــي فَهَامتَـــا في الوجودِ؟

هـــي أنتِ الـــتي تُحَـــدِّثُ عنها خَطَـــراتي، في يقظـــتي وهُجُودِي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١ – التعلة: ما يُتعلل به.

٢ – وئيد: متمهل.

إن تَكُــوني! إذْنْ فهــاك فؤادي   كلّــه خالصــاً نقــيَّ العهــودِ

وتعالَــىْ نَبْــغِ الحيــاةَ جِهــاداً   عبقــريَّ التصويــبِ والتّصعْيــدِ!

شَــجِّعيني علــى الجهــادِ طويلاً   فجهــادُ الحيــاةِ جِــدٌّ شَــديدِ

أشْــعريني بــأن قلبــاً نقيًّــا   يَرتَجِي سَــاعِدي ويهوى وُجُودي

ثم سِــيرِي معــي نَخُــطُّ طريقاً   كمهــادٍ في الصَّخــرةِ الجُلْمُــودِ

نظــرةٌ منــكِ وابتســامةُ حُبٍّ   تتــركُ الصّعْــبَ لَيِّنــاً كالمُهــودِ

لك منِــي عَواطِفــي وعُهودِي   لــك مِــني رعايــتي وجُهــودي

* * *

أحبك *

أُحبـــكِ كالآمالِ إذْ أنـــتِ مثلُها   تُذَكِّين في نفســـي أعــزَّ مَواهِبي[1]

ومــا هِــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ   تعبِّــرُ عمــا شئتُه مِــنْ رَغائبِ

فَتَسْرِي إلى نَفْســـي مَضاءً وجَرْأَةً   ووثبةَ حسّــاسٍ. وَعزْمَــةَ راغب

ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه   نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ

يعيــدُ إلى المكدودِ راحة نفسِــه   ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ ملْؤُه   ومِنْ كلِّ إحســاسٍ بِنَفْســي ذَائبِ

فُؤادِي الذي فتَّحْتِ فيه مشــاعراً   من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ

سموتُ به حــتى تكشّــف دونَهُ   عــوالمُ أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ

عــوالمُ لاتعــد ولقلــبٍ منصَّبٍ   بلا ذلك القلــب الرفيق المصاحب

بهــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونها * لِذائــذُ أُخْرى كاذبــاتِ العَواقبِ

أُحبُّــك إذ تَرجِــين مــنِّ رعايةً   وتَهْوِينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بِجَانِبِي

هنالك نَسْــمُو بالحيــاةِ فَنَرْتَقِي   إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَارِبِ

هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا   تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغائــبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.

١ – تَذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحيِيه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟ إني أراكِ كطائــفِ الأحــلامِ !

لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفيتُ شَــخْصَك كالمــلاكِ أمَامي

فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ خَفقــاتُ قلبي الْمنتَشِــي البَسّــامِ

عجباً ! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي

إنَــي لأ ومِــنُ بالغــرام وإنّــه يَقْــوي علــى مُتَعَــذِّر الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِــي وخَواطِري لَمَّــا لَقِيتُكِ كالخيالِ السَّــامِي ؟

أفَأنْتِ سَــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعــثُ في الحياةِ حُطامي ؟

وتُحيلُ صُــمَّ القافــراتِ نَوابضاً بالزهــرِ ، والآمــالِ والإلهَام ؟![١]

وتُجَمِّــلُ الدُّنيــا وتَخْلُــقُ عَالَماً للخُلْــدِ فيه مَــدارِجٌ ومَسَــامِ ؟

الله ! . أو فالحــبُّ . فهــو ظِلالهُ في عــالمِ الأوهــامِ و الأفْهــامِ !

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقــاءِ ! فكيــفَ قــد حَجَّبتــه   عن نفسِ منهــومِ العواطفِ ظَامِ؟

هو هــذه الدُّنيا وعَالَمُ سِــحرِها ؟   هو ذلكَ النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]

حَجَّبتِــه عنّــي، فأســفَر بغتــةً   بيــدٍ تجــيء بمُعْجِــزِ الأيــامِ !

الحــبُّ ؛ ياللحــبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى   مــن غــيرِ تدبــيرٍ وغــيرِ نظَامِ!

إني وَثِقْــتُ بــه ومــا هُــو باخلٌ   بــكِ يا ســعادُ بيقظــتي وَمَنامي

* * *

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِــرٍّ بَــلْ إلى أيِّ طَلْسَــمِ تَوَجَّه مِنْ عينك شُــعَاعُ مُلْهم ؟

إلى مَخْبأِ الأسْــرارِ في نفــسِ كَاهِنٍ تُحجِّبُها أســتارُ دُجْوان مُظْلم[1]

إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْــمُه وغيَّبَه النّســيانُ في تيه عَيْلَم[2]

إلى القابــلِ الآتِي الــذي نَــدَّ طيفهُ عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم

إلى حَيثُمــا الأقدارُ تُمضــي أمورَها على خِفْيــةٍ من وهمِــه المُتوهِّم

إلى مــاوراءَ الكــونِ والعــالمِ الذي تُحيــطُ به رُؤيا السَّــحَيْرِ المُنوِّم

* * *

لأَحْسَسْــتُ فيها رِعدةً[3،4] إذْ تَوجَّهَتْ وَدَبَّ لهــا قلْــبي وأَنكَرَها دَمِي

وأَحْسَــبُها قد جــاوزتْ في عُبورِها عَوالِــمَ لم تُخْلَــقْ ولم تُتَوهَّــم

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجا يدجو: تمّ وكمُل.

٢- عيلم: بحر.

حدثيني*

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيــني بمســتَار شُــجُونكْ واكْشِفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شُؤونك

حَدِّثِيــني بمــا تُكِنِّــينَ إني أنــا أولى بِعبئِــه مِــنْ دُونِــك

أنــا أقْوى على الحياة إذا عِشْــتُ حَياتِــي مُــزَوَّداً مِــنْ يقينِــكْ

ولقــد عِشْــتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّــرورَ مِــنْ تَلْقينِكْ

ولقــد عِشْــتُ للبــكاءِ إلى أنْ قد سَــمِعْتُ الغِنَــاء في تَلْحينِكْ

ولَقَــدْ عِشْــتُ للظــلام إلى أنْ قَدْ لَمَحْــتُ الّضياءَ بــينَ عُيونِكْ

* * *

حَدِّثِيــني عَــنْ سِــرِّهَا نَظَرَاتٌ أو دُمــوعٌ تَجُــولُ بــينَ جُفُونِكْ

حَدِّثِيــني عــن الأســى يَتَراءى كأســيِفِ الرَّجَاءِ فــوقَ جَبينِك[١]

أو تَعالَــيْ لذلــك الكَنَــف الحا نــي عليــك وارْكَني لِســكُونِك

هُو أَحْنَى عليكِ مِــنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى مِــن قَلْبِهــا بحَنينِــكْ

فَاغْمُــرِي في عُبَابِــه الُمتَرامِــي مَا مَضَى عَنْك أو أَتَى مِنْ شُجُونِكْ

وَابْعثِيهــا ابتســامةً وحيــاةً مِلْؤُها السِّــحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخَاصَمْنــا. تخاصمْنــا ! كذلــك يعبــثُ الحــبُّ !
أليــسَ الطّفــلُ إذْ تَنْــزُو قُــواه يَهُــمُّ أو يَكْبُــر؟[1]
ألَيْــسَ يُحطّــمُ اللُّعَــبَ الــــــتي كانَ لَهَــا يَصْبُــو؟
أليــسَ يَهــزُّه الصَّخَــبُ ويَحْلُــو عِنْــدَه الوثْــبُ؟
كذلــكَ حُبُّنَــا يَحيَــا وَليــداً جَــدُّه لعِــبُ!

* * *

تَخاصمْنــا. تخاصمْنــا وإنْ لَــم يَسْــمَعْ القلــبُ!
أليســتْ لا تُحَيِّينــي ولا يســليني القُــرْبُ؟
ألسـنَا إنَ تَلاقَيْنَــا نَغُــضُّ وتُسْــدَلُ الحُجْــبُ؟
وَمــا قُبلاتُنــا تَتَــرى ولا الرُّسُــلُ ولا الكُتُــب
كــذاكَ نَعِيــشُ في صَمْــتٍ فــلا غَــزَلٌ و لا عَتْــبُ

* * *

تخاصمْنــا. خُصُومَتُنــا ســلامٌ ثَوبُــه حَــرْبُ!
ســلامٌ بــينَ قَلْبَيْنــا فــكلٌ هَائِــمٌ صَــبُّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِــرُ في مَظاهِرِنــا ومِــلْءُ وِطَابِنــا كَسْــبُ !

ونَظْمَــأُ إِن تَنَاءيْنَــا فَيحلُــو الْــوِردُ والشُّــرْبُ

وتَذْكُــو للهَــوى شُــعَلٌ فــلا تخنــو ولا تخبــو

كذلــك حُبُّنَــا يَحيَــا كذلــك يَعْبَــثُ الحُــبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُــو قلــبٌ لَمَسْــتِه، أمْ(بيَانهُ)؟ فَتَنَــادتْ مِــنْ جَوْفِــه ألحَانُــهُ

هو قلــبِي أجَــلْ فهــذِي الأغاني هُــو يَشْــدُو بِهــا، وذا تَحْنَانه

أم تُــراه – كمــا أرْجــو– فؤادٌ بــيَنَ جنبيــكِ مُلْهَــمٌ خَفَقَانُــه

فتلاقــى القلبانِ في ذلــك اللحن وحَاكــتْ خفقاتِهمــا أوزانُــه

وتَــراءى في اللحن طيــفُ الأمَاني مُطْبَقَــاتٌ على الــرؤى أجْفَانُه

* * *

لَحْــني أنتِ خَفَــقَ قَلْبِي نشــيداً أنْتِ أدْرَى بِـما حَــوى وِجْدَانُه

والْمَسِــي بالحنــانِ قَلْبِي فَيشــدُو مِثْلَمَــا تَلْمَــسُ البنــانُ البَيَانُــه

بَــلْ فَــؤادِي مُلَحِّــنٌ عَبْقَــرِيٌّ ! لَحْنُــهُ مِنْــه قِطْعَــةُ وَبَنَانُــه

ألْهِميــه النشــيدَ وهــو يُغَنِّــي لَــكِ وادِي الخلودِ سَــامٍ حَنَانهُ

ألْهميــه النشــيدَ وهــو يُجَلّــي لَــك وادِي الخلودِ زُهْــرٌ جنَانهُ

أطلقِيــه مِــن القيــودِ بِلَحْــنٍ قَدْ تَسَــامى على القيــودِ افْتِنَانهُ

ودّعِيــه يَطِــرْ دونَ جَنَــاحٍ غــيرَ حــبٍّ يَزِيــدُه طَيَرَانُــه

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤

١– البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بِعَيْنَيْــكِ أُبْصِــرُ رُوحَ الظّمــاءِ وبالنفــسِ أَلْمَــحُ طَيْــفَ القَلَقِ
ففــي الخَطَــرَاتِ، وفي اللّفَتَــاتِ وفي النَظَــرَاتِ، وبيــنَ الحَــدَقِ
يُطِــلُّ التلهــفُ في وَثْبَــةٍ وتَعْصِــفُ ريحُ اللّظَــى المُحْترِق
لأيِّ مــنَ الأمــرِ هــذا التَطلُّــعُ هــذا التوثُّــبُ، هــذا الحَــرَق
شُــوَاظٌ من الشَّــوْقِ ؟ أمْ جَمْرَةٌ؟ من الحــبِّ محمــرةٌ كالشَّــفَقِ؟

* * *

أُحِــسُّ بأنَّــكِ مَلْهُوفَــةٌ لأن تَنْهلِــي كلَّ مَعْنَــى الغَــرَام
وأن تَنْهبِــي النــورَ مــن فجــره وأن تَسْــلُبِي زَفَــرَاتِ الظَّــلام!
وأن تَقْطفــي كلَّ زَهــرِ الحيــاة من الشَّــجْوِ والوَجْدِ أو الابتسام
تَفَتَّــحَ فيــكِ شُــعورُ الحيــاة فَشَــفَّكِ منهَا الهــوى والأُوَامِ[1]

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلِــي فــإني ظمئــتُ لمــا تَظْمَئِيــنْ
و أحســبُنِي كنــتُ أهْفُــو إليك كما كنــتِ لي في المُــنى ترقُبينْ
وشَــطَّتْ بِنــا بــدواتُ اللّقــاء وضَلَّتْ بنَــا خُطواتُ السّــنينْ
إلى أَنْ لقيتُــكِ فَتانــةً فحرّكْــتِ مني اشــتياقي الدَّفينْ
تَعالَــيْ نــروّ ظِمَــاء الســنين تعالَــي نَعِــشْ للمُــنى والفتُونْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحِبُّـــكِ حُـــبَّ الهـــوى والجُنونِ   أحبُّـــك حـــبَّ الرَّشَـــادِ الرَّزينْ

أحبـــك بالقلـــبِ في وَقْـــدَةٍ   أحبـــكِ بالعقـــلِ جَمِّ السُّـــكُونْ

وتَبديـــنَ في قلبِـــي المســـتطارِ   كما تُسْـــفرينَ بفكري الرَّصِينْ(1)

ففيـــك تَلاقَـــى الهـــوَى والهُـــدى   وشَـــابَه فيـــك الرشـــادُ الجنونْ

فأمـــا ازْدَهانِـــي بحبِـــي الفتـــون   رَكَنْـــتُ بِـــه للحجَـــا واليقـــينْ

* * *

لمـــاذا أحبـــكِ؟ هـــل تفكريـــنَ؟   وما الســـرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟

أللحُسْـــنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَـــانَ   فَمـــا هِجْنَ بِي وَمْضَـــةً مِن حنينْ

أللعطـــفِ؟ إني القَـــويُّ العطوفُ   فمـــا أرْتَجِـــي رحمـــةَ العاطفينْ

أللنظـــرات   ولِلّفتـــاتِ   وللسّـــحرِ في مُهْجَتي تَسْـــكُبِينْ

وشـــتى الخلالِ وشـــتى السّمات؟   لقـــد طالَما اجتمعـــتْ للمئينْ(2)

إِذَنْ فـــلأيِّ المزايـــا يكـــونُ   هَواي وحُبِّـــي؟ هَـــلْ تُدْرِكِينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمـــي الآنَ عِلْـــمَ اليقـــين سأكْشـــفُ عن سِـــرّ حُبّي الدَّفينْ

لقد لَـــجَّ بي قبل هذا، الســـكونِ وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزينْ[1]

وقد عِشْـــتُ للجِدّ، جِدّ الرصينِ أهُـــمُّ وأكبُـــو بعـــبءِ السِّـــنينْ

إلى أنَء لَقيتُـــك خَفّاقَـــةً تَوَقَّـــدَ فيـــك الهَـــوى والفُتُـــونْ

فأنـــتِ هُنـــا جمـــرةٌ كاللّظَـــى وأنـــتِ هُنـــا شُـــعْلَةٌ تُومِضـــينْ

فأكمَـــلَ هـــذا المـــراحُ الطروبُ هـــدوءَ الحزيـــنِ وجـــدَّ الرّصينْ

وأعجبـــني حُسْـــنُ هـــذا الكمالِ وإني عليـــه الحفيـــظُ الأمـــينْ

* * *

هـــذا أُحبُّـــكِ: هـــل تَفْكِريـــنَ؟ وهذا هو الســـرُّ. هـــل تَعْلَمِينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَـا شُـعورٌ جَديـدٌ؟ وفي كلِّ قُـرْبٍ ظَمَـاءٌ يَزيـدْ؟
وفي كلِّ يـوم أرى عَالَمـاً مِـنَ الحُـبِّ يَنْسُـبُنا للخُلودْ؟
وألقـاكِ والكـونُ قفـرٌ جديبٌ فتنبـضُ فيـه المُـنى والـوُرُودْ
ويَخْفُـقُ بالحُـبِّ قلـبُ الحَياةِ وتَشْـدُو هَواتفُهـا بالنَّشـيدْ
كَأنَّ الحيـاةَ وآمالَهـا إذَا مَالقيتُـكِ خَلْـقٌ جديـدْ
هُـو الحُـبُّ لا القَدَرُ المسـتطيلُ يُقَسِّـمُ في الكون شَتى الجُدودْ[1]
فيمنـعُ فالكـونُ شـاكٍ شَـقيٌّ ويمنحُ فالكـونُ راضٍ سَـعيدْ !
ويَنْبـضُ فالكـونُ في نَشْـوةٍ ويَجْمُـدُ فالكـونُ جـاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتـكِ خَفَّاقَـةً كالرجـاءِ فذكَّرْتِـني أنـني بَعْـدُ حَـيْ
وجَـاشَ بنفْسـي شـعورُ الحياةِ وفتَّحـتُ في رَجْفَـةٍ مُقْلَتَـيْ
أُقلِّـبُ عيـني بهـذا الوجـودِ وترتـادُ رُوحـي منـهُ الخَفـيْ
فيـا للجمـالِ، و يـا للغنَـاءِ ويـا للخواطـرِ تهفُـو إليْ!
ويالـي مِـنْ ظَامـىءٍ لاهـفٍ! ويـالي مِـنْ عَاشـقٍ عَبْقَـرِيْ!
يحيـلُ الحيـاةَ إلى فتنـةٍ وأصداءَهـا لنشـيدٍ شَـجي
ويُطْـرِبُ بالشـعرِ قَلْـبَ الحياةِ وَيَنْفَحُهـا بالرِّضـا القُدْسـيْ
ومـا أنـتِ إلا رسـولُ الحيـاةِ وحبُّـكِ مُعْجِـزةٌ مِـنْ نَبـيْ

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلِّـي بِطَلْعَتِـكِ السَّـاحرهْ وحَيِّـي بنظرتِـكِ الشَّـاعرهْ

أَفيضِي على الكـونِ فيضَ المِراحِ وغَذِّيـه بالقـوةِ الطَّافـرةِ[1]

ومالـك أنـتِ؛ وما للسُّـكُون؟ ومـا أنـتِ إلا القُـوى الثائرهْ

قُـوى الحبّ تَنْبِـضُ بـينَ القِفَارِ فتغـدُو القِفَـارُ بها ناضـرهْ

وتنفـخُ في سـاكناتِ القُلـوب فتغـدُو سَـواكنُها نَافِـرهْ

وهتـفُ للصُّـمّ بالأغنيـاتِ فَيْصْغُـون للنَغْمَـةِ السَّـاحِرهْ

* * *

ألسـتِ التي نَبَضَـتْ (بالوجود) فشـقَّ قُوى العَـدَمِ السَّـاخرهْ

بلـى ! أنتِ سـرٌّ انتصـارِ الحياةِ على المـوتِ في الوقعـةِ الظافرهْ

هُنالـك مـن قبـلِ ميلادِهـا وكانـتْ مغيبـةً حائـرهْ

وكنـتِ نـواةً بها ضَامـرةً فعـدتِ حيـاةً بِهـا سَـافرهْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عــن منحه، وَتَناهــي دونَه أملِي

منحتنِي الحــبّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ في أن تُميــلَ لها قلبي فلــمْ يَمِلِ

وكلمــا قرَّبْتِني، قلـُـت: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتنِي؛ قلت واوَجَلي[1]

ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَــا غيرِ مبتذَلِ

حتى خَسِــرْتُ من الأيَّامِ ما غبَرتْ به السُّــنون، وحتّى عقَّنِي أجَلِي

* * *

واســتَلْهَمَتْ هذه الدنيــا طبيعَتها في مُعْجِــزٍ مِنْ قُواهــا قاهرٍ حانِ

فأبدعتْــكِ جَمــالاً كلُّــه ثقِــةٌ يؤلِّـُـف الحبَّ من وَحــيٍ وإيمانِ

وأودعتْــكِ رَحيقاً مــن خُلاصتِها ومنبعُ السّــحرِ فيها جَــدّ فتّانِ

وأرســلتْكِ يقينــاً في طَلائِعهــا منيرةً في دُجى عَقْلِــي ووجْدَاني

فكنــتِ آخــرَ ســهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً مــن خَلْقِ فنانِ[2]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السِّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفِتَنِ

والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتَـنِ

والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـي قَلْبُها الخفَّـاق في الزمنِ!

والآن أنصـتُ للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحَنِ

لـك الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أسى الألحان أمْ هذا؟ أساك يسيلُ في اللّحْن؟
وإلا هذه نَفْسي تَهيمُ بعَالَم الحُزن
فَتُوحي النفسُ للأذن؟

وأين نشيدُك الراضي؟ وأينَ نشيدُك العَذْبُ؟
وأين الفَرْحَةُ النَّشْوى؟ وأين القفزُ والوثْبُ
فُيذْكي وَقْدَةَ الحبّ؟

سَمِعْتُك أمسِ لم أسْمَعْ سِوى نبرات أسْفَان
وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه من الهوى الفَاني
فَأنَّ فؤادُه الحاني

هي الأوتارُ عَالِمةٌ بما في قلبك المُفْعَمِ؟
وإلاَّ أنت مُوحية لها تَرنيمةَ المؤلم
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربك عَلِّمي اللحْنَا يُرجِّعُ غِنْوةَ الأملِ
ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجلْ يا خطرةَ الفَنّ برأسٍ مُفَكِّرٍ سَامِ
وغايةَ كلِّ فَنَّان يُنَاجي حُسْنَ أوهامِ
أجَلْ ياسِرَّ إلْهامي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تَهرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غاضِبَةْ! وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ
يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ وتجأرُ فيها المُنى الوَاثبَةْ![1]
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئنّ تُمازِجُه الغَيْرةُ الصَّاخِبةْ!
تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العذابُ وتَرْجِعُ مُجْهَدةً لاَغبَةْ
وفيها فُتُورٌ ولكنّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبةْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوى والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحْرِ أطيافُه بعينيك ألْمَحُهَا إذا تطيفْ
لألهمتِني السرَّ لما نظرْتِ إليّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[2]
وحدثْتني في خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ
ولولا شعوري بحبّي العطوفِ لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ!

* * *

قد انتصرَ الحبُّ. يا للانتصار بهذا العتابِ وهذا الغضبْ
وَثِقْتُ من اليومِ في حُبِّنَا وأنك تَرْعينَه في حَدَبْ
فلولا اعتزازُك بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادك تلك الرِّيَبْ
إذَنْ فاطمئنِّي فهذا الفؤادُ يحبُّكِ في وَقْدةٍ كاللهبْ
يحبُّكِ إي وجمالِ الغضبِ يحبُّكِ إي والهوى المُلْتَهبْ

١- تجأر: تتضرّع
٢- الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

۲

حَدِّثيـني أمـا تَزالـين غَضْبـي؟ أوَ مَـا زَالَ مِـلءْ نَفْسِـكِ رَيْبَا

ولمـاذ الوقـارُ والصمـتُ يُضْفِي بعدمَا كنـتِ لِي مَراحـاً وَوَثْبَا

كانَ بالأمـس كالعِتَـابِ جميـلاً ما له اليـومَ لَمْ يَعُدْ منْـك عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُـذْ صَمَتّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُـردِّد اللحـنَ عَذْبا

أنـا أخْشَـى ولا أُصـرِّحُ مَـاذا أنـا أخْشَـى؛ فمـا أزال مُحبّا

ابْسُـمِي تَبْسُـمُ الحيـاةُ وتَرْضَى وامْنَحِيـني اليقـينَ. أمْنَحْك حُبّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنـــا أشْـــرِى اليقـــينَ بالفُقْـــدَانِ مُؤثـــراً فيـــه وَاضـــحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلــةُ الشـــكِّ والأسَـــى والظَّلامِ   وجحيـــمَ الإقـــدامِ والإحجـــامِ

والعـــذابِ المُمِـــضِّ لم يُتَصـــوَّرْ   في وعيـــدٍ أو خَطْـــرَةِ الأوهامِ[1]

قد تركتُ الماضي حَصيداً هَشِـيمَا   ونَضِـــيرَ الآمـــالِ مثـــلَ الحُطَامِ

عـــنِ عذابِ الآمـــالِ قَـــدْ أتَعزَّى   وما عَزَائي عَمَّا مَضَى مِنْ غَرامي؟

ليتـــنى أســـتطيعُ أنْ أُرجِـــعَ المـــا   ضي فأُحيي ما ضَـــاعَ مِنْ أيامِي

ليلـــةَ الشَّـــكِّ هل مضيـــتِ؟ فإني   لم أزلْ بَعـــدُ غارقـــاً في الظَّـــلامِ

والهـــوى المُشْـــرِقُ المنـــيرُ تهاوَى   في خِضَـــمِّ الدُّجَى العميق الطَّامي

والحيـــاةُ الـــتي تفيـــضُ مِراحـــاً   قـــد تَبـــدَّتْ في ذِلَّـــةِ الأيتـــامِ

وَمَشـــى الحـــبُّ مُطْرِقـــاً يَتَوارَى   كَحَيِـــيٍّ يَنُـــوءُ تحـــتَ اتِّهامي[2]

ليلـــةَ الشَّـــكِّ قَدْ طَمَسْـــتِ حياةً   مِـــنْ رَجاءٍ صِيغَـــتْ ومِنْ إلهامي

لَهفَـــتي لليقـــينِ يَغْمُـــرُ نَفْسِـــي   لَهفِتي للهـــدوءِ بعـــدَ اضطرام

أنـــا أشْـــرِى اليقـــينَ بالفُقْـــدانِ   مُوثِـــراً فيـــه واضـــحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.

٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقـــينَ اليقـــينَ بعـــدَ ارتيـــابِ   الهـــدوءَ الهدوءَ بعـــدَ اصطخابِ

اليقـــينَ اليقـــينَ أطلـــبُ فيـــه   راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ

أيهـــذا اليقـــينُ إنّـــك قـــاسٍ   ما تَطلبـــتُ كلَّ هَـــذا المُصابِ!

أيهـــا الشـــكُّ رُبّما كنـــتَ خيراً   من يقـــينٍ كالجَذْبِ بـــين اليبابِ

حَيْرَةَ الشـــك، هَـــدْأةَ اليأسِ، هَلا   لحظـــةً تتـــركانِ نَفْســـي لِما بِي

لحظـــةً تُخْلِيـــانَ فيهـــا فـــؤاداً   مَـــلَّ وقـــعَ اليقـــينِ أو الارتيابِ

ثم مـــاذا؟ ومـــا الهـــروبُ؟ وهذا   واقعُ الأمـــرِ، ما لهـــذا التَّغابِي؟

يـــا يقيـــني إلَيّ. إن حَفِـــيٌّ   بِيقـــينٍ شَـــرَيْتُه بِلُبَابِـــي[1]

بِدمائـــي الـــتي بُذِلَـــتْ، بِدَمْعِـــي   برجائـــي المُنَـــوّرِ الوَثَّـــابِ

أنـــتَ أغلى عَلـــيّ مِـــنْ كلِّ هذا   يَـــا يَقِيني، ومُرْشِـــدِي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُك يا جَنّتي السَّاحرةْ وغادرتُ أفياءَك العاطره

وهِمْتُ تُشَرِّدُني المُقْفِراتُ وتَلْفَحني كاللظّى الهاجِرةْ[1]

وتَعْصِفُ في نَفْسي العاصفاتُ وتَنْهَشُها الوَحْشَةُ الظّافِرَهْ

وقَدْ طَمَسَ اليأسُ نَهْجَ الرَّجَاءِ وغَشّ البصيرةَ والبَاصِرهْ

فلا الظّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرابِ ولاَ العِلْمُ يُرْضِي المُنَى الحَائرهْ

هو اليأسُ أو اليقينُ الأليمُ وبعضُ الحقائقِ كالكَافِرهْ

فيا لليقينِ المُمِضّ اللّجُوجِ ويَا لَحَقيقتِه الجَائِرهْ

فَقَدْتُك ياليتي إذ فَقَدْتُك كنتِ مؤمنةً عَامِرهْ

لَعزّيْتُ نَفْسي بالذكرياتِ وأودعتُ فِرْدَوسي الذّاكرهْ

ولكن فَقَدتُك نَهْبَ الذئابِ تجوسُ خلالَك كالآسِرهْ

ونهبَ القَشَاعِمِ والجارحاتُ تخطّفُ أثمارك النَّاضِرهْ[2]

ونهبَ المطامِعِ والمغرياتُ تُدَنِّسُ نِيّتَكِ الطّاهِرهْ

فقدتُك في النفسِ أنْشُودةً ومعنى من الفتنةِ السّاحرهْ

فقدتُك ذِكْرى فوا حسرتَاه لِفَقْدٍ منِ العينِ والخاطِرهْ

١- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

٢- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبِـــي منَ الحنـــينِ فَغَاضَتْ عَبَراتـــى وأقفـــرتْ مُنْـــذ حِينِ

وحســـبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بـــينَ ماضِـــي حياتِـــي المَكنُون!

وإذا بي أُودِّعُ اليـــومَ عَهْـــدَاً فتفيـــضُ الدموعُ مِـــلْءَ الجفوُن

في انســـكابٍ يَغُضُّ مـــن كِبْريَائي واضطرابٍ يرتاعُ مِنهُ سُكُونِي

يـــا دمـــوعَ الوفـــاءِ أَنْتُـــنَّ أَغْلَى أن تُرَقْرَقْـــنَ للوفـــاءِ الغَبـــينِ[1]

* * *

١- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسَّــتَ يَداكِ جانبيــهَ؛ في جنــونٍ واضطرابِ
أكــذا يَهْتَاجُنِــي مَــسُّ هــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُباب؟!(١)

* * *

عجباً ! مــا السّــرُّ في خفقتهِ.. ؟ إنِــني أسْــأَلُكِ السّــرَّ الدفــينْ
أنــت أدْرَى بالــذي أودَعتِــه فيــه من حبٍّ، ووَجْــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلــبي لم يكــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهــو اللُّغْــزُ الذي تَحْويــنَ هذا؟ أم هي الفتنــةُ في مِفْتَاحُ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إني في اضطرابي قَدْ نَســيتُ مَبْعَــثَ الفتنــةِ عينيــك تَــين!
تُضْمِرَانِ السِّــحْرَ يُحيِي ويُميتُ ؟ وهمــا سِــرُّ اتصــالِ المُهْجَتَيْــنِ

* * *

سِــحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فــإذا شــئتُ اتقــاءً أتَّقِيــه!
لكن السّــحْرَ الذي تَاهــتْ رُقَاه إنــني أهفُــو إلى الإخــلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهـــي النَّشْـــوةُ أم وَقْـــدةُ جَمْـــرٍ إنني أحســـتُها تذكُو بِصَدْري[1]

وبِرُوحـــي لَهْفَـــةٌ تَبعثُهـــا هذه القبلـــةُ من أعـــذبِ ثَغْـــر

قُبْلَـــةٌ ! مـــا هـــذه القُبْلَـــة إذ تنقـــلُ الدُّنيـــا إلى عـــالمِ سِـــحْرِ

وتُحيـــلُ الجســـمَ والـــرُّوحَ معـــاً شـــعلةً طائفـــةً لم تَسْـــتَقِرِ

بل تُحيلُ الجســـمَ والرُّوحَ شَـــذىً من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْـــكَةِ طُهْـــرِ

* * *

لم أُحِـــسّ الـــرُّوحَ مـــنى مُثْقَـــلاً بهمومِ الجســـمِ إذ هَوَّمَ يَسْـــرِى

لم أُحِـــسّ العُمْـــرَ إلا خَفْقَـــةً في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى

وأرى الماضِـــى أَضْحَـــى لحظَـــةً بعد ما قَـــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهري

وتطلَّعْـــتُ بعـــينِ المُنْتَشِـــى لجمالِ الكونِ في نَشْـــوةِ سُـــكْرِ

* * *

أهـــي القُبْلَـــةُ مـــن ثَغْـــرٍ لِثغرِ ؟ أم هـــي الخَطْرةُ مِـــنْ وَحي لِفكْرِ

أم تُراهـــا قُبْلـــةَ النـــورِ الـــتي فاضَ منهـــا النـــورُ في أولِ فَجْرِ

حينمـــا رفـــرفَ والكـــونُ دُجَىً رُوحُ ربّ الكـــونِ في لُجَّـــةِ غَمْرِ

فتجلّـــى النـــورُ في بَـــرٍّ وبَحْـــرٍ وتَراءى الحُسْـــنُ في طيرٍ وزَهْـــرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُــقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّــفاه   مُنــذُ أن ضَمَّتْكِ في شَــوْقٍ يَداه
مُنــذُ أن رَنَّ صَدَاهــا ، قُبْلَــةً   نَهِلَــتْ منهــا وعَلَّــتْ شَــفتَاه
وارتــوتْ رُوحَاكُما بَــلْ ظمِئت   برحيــقِ القُبُــلاتِ المشــتهاه
بَلْ رحيــقُ الخُلْدِ قَدْ طَــابَ جَنَاه   وسَــرَى فيــه حُــلاه وشَــذَاه

* * *

يَخفُــقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشّــفاه   حــينَ يَلْقَــى ناظِرَيــك نَاظِرَاه
حينمــا يَسْــتَعِرُ الحــبُّ جَــوىً   يَكْتوى القلبــانِ مِنْ حَــرِّ لَظَاه
فَيُرجــي كلُّ ثَغْــرٍ قُبْلَــةً   هــي بــردٌ للحنَايــا والشِّــفَاه
مثلمــا يَطْلُــبُ رَيَّــا ظَامِــئٌ   ينظــرُ المــاءَ ولا يَبْلُــغُ فَــاه

* * *

يخفُقُ القَلْبــانِ؛ بل تَهفُو الشّــفَاه   كلمــا بَشَّــرَ بالحــبِّ الهُــدَاه
كلَّمــا نَــادَى حَــيْ هَــلا   يَقْطِــفُ المحرومُ ما طَــابَ جَنَاه
مَــا لِمَحْرومَيْــن لم يَسْــتَمِعَا   ذلك الصــوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إيه هيــا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشّــفاه   فهوَ داعِي الحبِّ؛ أو دَاعِي الحياهْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَـفَتَاي تَخْتَلِجَـانِ للتقبيـلِ؟ في كلِّ مُطَّلـعٍ لديـك جميـلِ
ظَمَـأُ الشِّـفاهِ طبيعـةٌ أُلْهِمْنَهـا منـذ ارْتَوَيْـنَ بثغرك المَعْسُـول
ظَمَـأٌ تُؤَجِّجُـه القلـوبُ خَوافقاً تَنْـزُو بعـارمِ لهفـةٍ وغليـلِ
من يومِ ما التقَت الشِّـفَاهُ فَحدَّثَتْ عـن حُبِّنـا بسـواحِر الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقـد ضَمَمْتُك والهوى يُغْـرى ويُوقِظُ خَاطِـرَ التقبيلِ؟
والكـونُ يُمْسِـكُ خَفقَـه مُنْتظراً قبلاتنـا في لَهْفَـةٍ وذُهـولِ
هُـو عاشـقُ القُبـلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْـنٌ يُنَبِّـهُ فيـه كلَّ خُمُـولِ
وهـي الحيـاةُ إذا تُحيّـى قُبْلَـةٌ رَمْزاً علـى الترحيـبِ والتأهيل
أفـلا نَـردُّ علـى الحيـاةِ تحيـةً مَا عقّهـا في الكـونِ أَيُّ بخيلِ؟
أفـلا نُرَجِّـعُ غِنْـوةَ التقبيـلِ! وتحيـةَ الدُّنيـا لخـيرِ نَزيـلِ؟[1]

---

* نشرت ١٩٣٤.

١ – النزيل: الضيف

الخطر

بينَ التلفُّتِ والحَذَر خطَرتْ تُبشّرُ بالخَطَرْ!

بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النُّذُرْ!

وتشيرُ للمتنظّريـ ـن إشَارةَ اللّبِقِ الحَذِرْ!

لتضيعَ مني قُبْلةٌ لبثتْ بفيها تَنْتَظِر!

ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثَّمَرْ

هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ

فمضَى يَتِيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!

ويَلُوحُ حتى ننتَشي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ

ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قَمَرْ

ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ

ونَطِيرُ في نَشَوَاتِنا نهفُو إليه وننتظرْ

فَإِذاهُ آناً يعتذرْ عَنّا وآناً يستترْ!

هو ذاك يا قلب الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِــه أيُّهــا الحُسْــنُ الأغَــرُّ وامــرحْ بِنَفْسِــك وازْدَهِــرْ
مــا الحُسْــنُ إلا شُــعْلةٌ تَخْبــو إذا هِــي لم تُثَــرْ
مــا الحُسْــنُ إلا طَائــرٌ يَهــوِى إذا هُــو لم يَطِــرْ
مــا الحُسْــنُ إلا قُــوةٌ تَعْيَــا إذَا لم تَقْتَــدِي
أمّــا الذيــن أسَــرْهم بــينَ التــبرُّجِ والخَفَــرْ[1]
فعليهــمُ أن يَعْلَمُــوا يــا حُســنُ مــن أيــن المَفَــرْ
أو يَســتَنِيُموا للخَطَــر وبحســبِهم مِنــكِ النَظَــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَــهِرْتِ؟ إذنْ تعَالَــيْ حَدِّثيــني   بما أحْسَسْـــتِ من حَــرَقِ الحنينِ

فقــد جربتُــه ســهرَ الليــالي   وقــد خَبَــرْتُ تســهيدَ الجفونِ

وأعْلَــمُ أن مبعثَــه غَــرامٌ   يَــؤُزُّ جوانبَ القلــبِ الحَنُونِ[1]

ويَقْظَــةُ حــالِمٍ تَسْــمُو مُنَــاه   عــن النُّــوامِ في دُنيا السُّــكُونِ

فَهــلْ أحْسســتِه حُبًّــا كهــذا   فبــتِّ الليــلَ سَــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومــا أبْغــى لــك السُّــهدَ المُعَنّى   ولا الحُرُقَاتِ سَــاعرةَ الشُّــجونِ

ولكنّــي أريــدُ نشــاطَ حُــبٍّ   ويقظــةَ عاشــقٍ جَمِّ الفُتــونِ[2]

فنوقــظُ هــذه الدُّنيــا خلــوداً   ونَسْــمُو عــن تقاليدِ الســنينِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يؤز: يزلزل.

٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسَامي
أو فَإنّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِي مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامٍ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكُونٍ لِتَنَامِي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنَامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهــا الحــبُّ فَــلا تَنْـسَ دُعــاءً بِالــدوامِ
وتعاويــذٌ لقلبينــا لِصَــدٍ أوْ سَــآمِ
أو فَعَوِّذْهــا ودَعْنِــي لِتَعاويــذِ غَرامِــي
وإِذا شــئتَ فَعَــوِّذْ بي مــن فَــرْطِ هُيامِــي
ومِــنَ اللهفــةِ تَطْغَــى في فــؤادِي كالضِّــرَامِ![1]
واجعــلْ الدُّنْيَــا ســلاماً وارْوِ يــا حُــبُّ أُوَامِــي[2]

* * *

١- الضّرام: النار الملتهبة.
٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيــُش نِضْو تَرقُّبِ أُزْجِي حَياتي كالأجــيرِ المُتْعب[1]

أرنُــو إلى الإِصْبَــاحِ ثم تَمُجُّــه نَفْسِــي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]

وأُحــسُّ بالقفــر الجديــبِ يَلُفُّني ويَجُوسُ في نفــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ

ولو أنمــا اختصرت حيــاتي لم أبل بَــلْ لم أحسَّ بنقصِهــا أو أعْيب

وإذا تَشَــابَهتِ الحيــاة وأقفرتْ مُجَّــتْ بِرُمَّتِهــا، ولَــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَــفُ للدقائــقِ تَنْطَوي من عُمْري الغَــالي الثمينِ الطَّيب

واليــومَ أرْقبُهــا وأرْقُــبُ خَطْوَها فأعيشُــها مِثْلَينِ بَعــدَ تَرقبذث

وهــي العميقــةُ كالخلــودِ وإنما تَمْضِــي حَثيثاً في خُطَــا المُتوثب

وأودُّ لــو هــي أبْطَــأتْ وتَلبَّثَتْ في خَطْوِها لَيْثَ الوَئِيــدِ المُكْثبِ

تَغْلُــو الدقائــقُ في حيــاةٍ خِصْبَة وتهُــونُ أَعْــوامٌ بِعُمْــرٍ مُجْدبِ

* * *

الحبُّ فَــاضَ على الحيــاة بخصَبه وأجَــدَّ عُمْراناً بِــكلِّ مُخَرَّب[3]

وأزَاحَ أسْــتَارَ الدُّجَى فتكشَّــفَتْ ظُلُمَاتُــه عــن كلِّ زَاهٍ مُعْجِــب

وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيــاةُ وتَجْتَلي وتَعزُّ ســاعاتُ الغَــرامِ المُخْصِب

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّـــي وامْلئـــي الدُّنيـــا نشـــيدَا   وحَيِّـــي ذلـــك الكـــونَ الجديدَا

فـــإنَّ الحـــبَّ أبْدَعَـــه؛ وإني   نَظمْتُ علـــى بَدَائعـــه القَصيدَا

أجَـــلْ حيِّيـــه فهـــو لنـــا، وإنَّـــا   لَنَعْمُـــرُ كَوْنَنَـــا عُمْـــراً سَـــعيدَا

نعيـــشُ مَعيشَـــةَ الطُّلَقَـــاءِ فيـــه   وكـــونُ النـــاسِ يُثْقلُهـــم قُيودَا

وَنَمْلِكُـــه وَمـــا الأحيـــاءُ إلاَّ   أجـــيرِي هـــذه الدُّنيـــا عبيـــدَا

وَنَبْـــذُرُ فيـــه آمـــالاً وضَـــاءً   فَيُنْبتُ غَرْسُـــها الطَّلْـــعَ النَّضيدَا

* * *

تَغَنّـــى بالرجـــاءِ وبالأمَانـــي   وبالنُعْمَـــى تَـــدومُ لَنـــا خُلُـــودَا

ومِنْ فِتَـــنِ الحياةِ خُـــذي الأغَاني   ومِـــنْ خَفَقَاتها صُوغي النَّشـــيدَا

ومِـــنْ شِـــعْرِي؛ فقد نظّمْـــتُ فيه   أهازيـــجَ الهَـــوى لَحْنـــاً فريدَا

فمـــا أحْلَى الغِنَـــاءِ بِعَذْبِ شِـــعْرٍ   نحَيِّـــي فيـــه عَالَمَنَـــا الوَليـــدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَـمْ أُحِبُّـكِ للسَّـنَا والنُّـور   وَلِحُسْـنِ وجه في الحيـاة نَضير

ولسِحْرِ رُوحْك حين يَخْتَلِسُ النُّهَى   منّـي فَأَتْبَعُـه اتّبَـاعَ سَـحِيرِ[1]

ولَمّـا تَضَمَّنْت الجمـالَ فأفصحتْ   بِك منـه سَـاحِرة مِـنَ التعبير

ولما مُنِحْـت، وما مَنحتِ من الهوى   للكـون؛ أو أحييْت مِـنْ مَقبور

إنْ لَـم أُحِبُّـكِ حُـبَّ مفتونٍ ولا   حُبَّ الأسـيرِ؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُور

* * *

حُـبَّ الذي أحييْـت فيـه حَيَاتَه   مما لديـك مِـن الحَيـا المَذْخُورِ

ووهبتـه مُلْـكَ الحيـاة وطَالَمـا   قَـدْ عَاشَـها كالعَامِـلِ المَأْجُور

ومَنَحْتـه مَاضيـه بعـدَ ضَيَاعـه   وأعَـذْت قَابلَـهُ مِـنَ المَحْظُور

حُبَّ الـذي أشْـرَقْت في وِجْدَانه   فجلـوتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْـتُور

ونَفَخْـتِ في عَزَمَاتـه فتوهَّجَـتْ   وسَـمَتْ لِـكلِّ مُمَنَّـعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحِبُّـك حُـبَّ مَـنْ ألهمته   شِـعْراً يُضيء سَـنَاه كلَّ شُعور

شِـعْراً جمعتِ من الحيـاة زُهُورَه   ومِـن الجمـالِ نَفَحْتـه بعبـير

ومِـن الضيـاءِ وهبتـه آمالَـه   ومن النَّدَى حِلْمـاً كَوجه غَريرِ

وبعثتـه وَحْـيَ الحيـاة وفَنِّهـا   تجلُـوه ضِمْـنَ جَمالِهـا المَأْثُورِ

* * *

أفـلا أُحِبُّـكِ؟ إنّهـا لَفَرِيضـةٌ   حُبَّ الشّـكُورِ لِواهبٍ مَشْكُورِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّــماءِ وهي صِنْــوٌ لعِصْمَــةِ الأنبياء[1]

يُخْطِــئُ الناسُ في الحياةِ اسْــتِبَاقاً للــذَاذَاتٍ قبــلَ يــومِ الفَنَــاء

وصِرَاعــاً مــا بينَ جســمٍ ورُوحٍ في شَــتيتِ الآمــالِ والأهــواء

وَلَــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْــضُ صَفَــاء

لَتَسَــامَوْا عَــنِ الخَطيئــةِ كالقَيْدِ وعَاشُــوا مَعيشــةَ الطُّلَقَــاء

* * *

وغَنَــاءٌ عــن الخُلُــودِ غَــرَامٌ هــو رَمْــزٌ وَوَصْلَــةٌ للبقــاء

وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِــي عليه ثَــوْبَ الضيّاء[2]

هُــو نــورٌ ومــا الخطيئَــةُ إلاَّ ظُلْمَــةٌ أو حَلِيفَــةُ الظَّلْمَــاء

وهُو يَسْــمُو عن الزمــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيــه الزمــانُ مِــنْ أخْطَاء

هُــو خُلْــدٌ، ومــا الخطيئــةُ إلاّ بعــضُ وَحْــيِ الفَنَــاءِ للأحْياء

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنـــا بانتظـــارِك مـــا أُبالِـــي رِضـــي الهـــوى حُكْـــمَ الجَمالِ!
غيـــبي إذَنْ أو فَاحْضُـــرِي أنـــا قَانِـــعٌ في كلِّ حَـــالِ!
رَاضٍ بأحلامِـــي الـــتي تُضْفِـــي عليـــك حَلْـــيَ الجلالِ
لســـتِ الملومَـــة إنـــني أنا رشْـــتُ أجْنحَةَ الـــدَّلالِ![1]
مَـــا للجَمَـــالِ مَتَـــى بَـــدَا إلا التَّخَشُّـــعُ في ابتهـــالِ

* * *

أنـــا بانتظـــارِك في الشُّـــروقِ وفي الغـــروبِ وفي الـــزَّوالِ
أنـــا بانتظـــارك حِـــين أصْحُـــو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ اللآلِـــي
أنَـــا بانتظـــارك حِـــينَ أغْـــــــفُـــو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربـــت تطلَّعَـــتْ نَفشـــي إلى القُـــرْبِ المُوالِـــي!
وإلى التّمـــازُجِ بيننـــا حَنْـــيَ النحـــور إلى كَمَـــالِ
هـــو ذاك سِـــرٌّ تَنَظُّـــري أبـــدا إليـــك؛ فمـــا احتيالِـــي؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُحْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[1]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى جحيماً كَلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُك لهفةً حَرَّى وشوقاً كلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُك رِيبةً فِينَا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[38] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُها قد اشتعلتْ وفي التلطيفِ إِذْكَاءْ

* * *

كرهتك سَهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجَى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتـــك شُـــغْلِيَ الشَّـــاغِلْ وآمَالِـــي وآلامِـــي

وماضِـــي العُمْـــر والآجِـــلِ ولَيْـــلاَتِيّ وأيَّامِـــي

* * *

كرهتُـــك دورةَ الزّمَـــنِ بـــلا حَـــدٍّ ولا فَاصِـــلْ

وصلـــتُ الصَّحْـــوَ بالوسَـــنِ بإحســـاسٍ لَنـــا شَـــاغِلْ

* * *

كرهتُـــك لســـتُ موقوفـــاً علـــى حُـــبٍّ يُقَيّدُنـــي

كَرِهْـــتُ العيـــشَ مَلْهُوفـــاً علـــى أمـــلٍ يُســـوّفُنِي

* * *

وداعـــاً أيُّهـــا الحـــُبّ كرهتـــك فارتحـــلْ قُدُمَـــا

كرهتـــك لم يَعُـــدْ قَلـــبٌ بصـــدرِي يَحْمِـــلُ الألَمـــا

* * *

سَـــأحيا خَامِـــدَ الحِـــسّ فـــلا حُـــبٌّ ولا أمـــلُ

سَـــتخْبُو شُـــعْلَةُ النفـــسِ ويَمضِـــي ذلـــك الأجِـــلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْــتَ يــا قلــبُ ! . مــاذَا أَنَكْسَــةٌ مِــنْ جَديــدْ؟[١]

تَوثُّــبَ الحـبّ هَــذَا ؟ بعــدَ الهــدوءِ المَديــدْ

وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يــا قلــبُ مــاذَا أَثَــارَكْ ؟ وهَــاجَ فيــك الحَنينَــا؟

وقــد خَلَعْــتَ إِســارَك وعِشْــتَ كالنــاسِ حِينــا[٢]

أو عشتَ كالهادئينا !

* * *

لَقيتَهــا يــا فُــؤادى أَنَكْسَــةُ الحــبّ لَقْيَــا؟

كالنــارِ تحــتَ الرّمــادِ مــا يلبــثُ الحــبُّ حَيَّــا

ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يــا قلــبُ فَاذكــرْ عَذَابَــك في الشكّ أو في اليقينِ

فهــل نَسِــيتَ اضطرابَــكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[٣]

وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والهجر.

وبــينَ إنْ قِيــلَ غَابَــتْ أو قِيــلَ الآن تَأتِــى!

وبــينَ فَــوزٍ مُبَاغِــتْ أو حســرةٍ بعــدَ فَــوْتِ

وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

* * *

أراكَ يــا قلــبُ لَمَّــا تَســمَّعْ، ولم تَتَذَكــرْ

ومــا تحــاوُل كَظْمــاً لِخَفقِــكَ المُتَســعّرْ

وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْــكَ يَــا قلــبُ وِزْرَكَ فاخفــقْ إذَنْ بَــلْ فَخَاطِــرْ؟

فليــس يُجْدِيــك حَــذَرُكَ إذَا هَمَمْــتَ تُحَــاذِرْ

خاطرْ بنفسِك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَــرّدَ ذلــك الطَّلــلُ وطــافَ بركنِــه الوَجَــلُ
يُغَشّــى اليــأسُ صَفْحَتَــه ويُبْــرِقُ تحتَــه الأمــلُ
وهَمِــسُ حولَــه الذّكْــرَى فتلمــعُ بينهــا الشُّــعَلُ
جَفَــاه أهلُــه مَلَــلاً فَخَّيــمَ فوقَــه المَلَــلُ
عَزِيــزٌ عَهْدُهــم فِيــه عزيــزٌ أَنْــتَ يَــا طَلَــلُ

* * *

بَنَــاه خَــيرُ بَنَّــاءِ بَنَــاه الحــبُّ مُبْتَدِعــا
وبَــثّ عَلــى جَوانِبِــه مَفَاتِــنَ تَفْتِــنُ الوَرِعَــا
وأطْلَــقَ حَولَــه سِــحْراً يَبُــثُّ الشَّــوقَ والوَلَعَــا
وأَنْشِــدَ باسِمِــه شِــعْراً مِــنَ الآمــالِ مُنتزِعَــا
وظَلّــلَ أَهَلَــه الأمــلُ فمــاذا جَــدَّ يــا طَلَــلُ ؟

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

خريفٌ بَاكِرٌ حَلاَّ خريفُّ الحُبّ والعُمْرِ
فَحَطّمَ كُلَّ شَامِخَةٍ على الأحداثِ والدّهْرِ
وعَطّلَ كُلَّ فَاتِنَةٍ مِن الإغْرَاءِ والسّحْرِ
وأبْطَلَ كلَّ سَاحِرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَةَ . الشّعْرِ
فَعَادَ بِنَاؤه طَلَلاً فَويْحَكَ أيُّها الطَلَلُ
دَلَفْتُ إليه مَلْهُوفاً تحُثُّ حَنيني الذّكْرَى
فَأطْرَقَ لا يُحَدّثُني وأرْسَلَ زَفْرةً حَرّى
وَجَدْتُ لِوَقْدِها لَذْعاً كَأني أَلْمُسُ الجَمْرَا
وتاهتْ نَفْسي الوَلْهَي وأَسْرَتْ رُوحِي السّكْرَي
وقُلْتُ وقَدْ نَزَا أَلَمِي «فِداكَ الكونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فَائِـرَه ونكهَتهتُـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ

أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشـعلةَ الثَّائِرهْ

أنْشَـقُ نَكْهَتَهـا كالشَّـذَى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ

وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذَّاكِرة

وبـينَ يَـديَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـردَّدُ كالنَغْمَـة السَّـائِرةْ[1]

أجَلْ! لَيْسَ هَذَا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِـرَة

أذلِـك جِسْـمٌ ! فأيـنَ الخيالُ وأيـنَ عَرَائِسُـه النَّافِـرةْ؟

تَقَدَّسْـت مِـنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ

وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيـاةَ هِـي الفتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِـرهْ

أجلْ هِـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائِرةْ

لجَسَّـمْتِ مـا كانَ في خَاطِرِي خيـالاً وأُمْنِيـةً طَائِـرهْ

وقَرّبْـتِ لِلّمْـسِ مـا لم تَكُـنْ تُقَرّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِـرهْ

وَأسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ

أَمُعْجِزَةٌ أنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسـم وبـينَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]

قُـوى كلِّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قـدرتْ يـا قَـادِرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّــي لأغْمِــضُ فِــي نَشْــوةٍ وأُمْسِــكُ أَنْفَاسِــي السَّــاعِره

وأَخْطَرُهَــا قُبلَــةً في فَمِــي فَأسْــمَعُ أصداءَهــا السَّــاحِرهْ

وأسْــتَرْجِعُ اللحظَــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِــي بهــا صُــوراً وَافِــرهْ

وأَعْرِضُهــا مَنْظَــراً مَنْظَــراً كمــا عُرِضَــتْ قبــلُ لِلبَاصِرهْ

ثَــوانٍ تَرَكَّــزَ فيهــا الزمــانُ تُبَــارِكُ دُنيــاي والآخِــرهْ

* * *

غني ... ؟!*

غنيّةٌ أنــتِ بالتعبيرِ قــد ذَخَرَتْ أطــواءُ نفســكِ منــه زادَ أَحْقَابِ

وهَبتــني مِنْــه أشــتاتاً منوّعــةً وزدتِــني منــه في وجودٍ وإسـهابِ

في كل جَارحــةٍ عُنــوانُ مَلْحَمَةٍ مــن الحديثِ ، وســرٌّ جِــدُّ جذّابِ

تقــصُّ تاريخَهــا في فــنّ راويةٍ منسَّــق النَّبْرِ ذي لحــنٍ وإطرابِ[1]

وإنَّ تاريخَهــا أُقْصُوصــةُ جمعتْ تجــاربَ الكــونِ في أحــلامِ أربابِ

تجاربُ الكونِ في ســحْرٍ وفي فتَنٍ من نُضْرةِ الرّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ

ومِنْ سَــناءِ الــدَّراري في تألّقها ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجى الخَابي[2]

ومِنْ غُموضِ الصَّحَارِى في مَجاهِلِها والعيلمُ الرَّحــبُ يَطْغَى جِدُّ صَخَّابِ

ومن صِيــالِ الضَّواري في تَقحُّمِها ومن أغاريــد أطيــارٍ وتَنْعَــابِ[3]

وفرحــةُ الظَافِرِ النَّشــوانِ خَافِقَةٌ تختــالُ مُعْجَبــةً في خَطــوِ وثّــابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرّيّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هــذا حديثُـك بينا أنـتِ صَامتةٌ   وَعَيْتُـهُ كلّه في صَمْـتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مـا أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْـقٍ وإنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سِوى طَرْفٌ   من الحديـثِ على وَفْـرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلـك كَنْزٌ كُلُّـه طُرَفٌ   يزيـدُ مَذْخُـورُة في كـفّ وهّابِ
وإنَّ عِنْـدكِ مـا تُعطينـه أبـداً   للسـائلينَ بإفْصَـاحٍ وإغْـرابِ
* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ   مُسَلْسَـلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست   للأمْنيـاتِ فلبّتْ بِضْعُ أسْـرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْـرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أَهْدابِ ؟
والثغـرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتِهِ العَذْبِ، بل في سِحْرِهِ السَّابِي[1]
وإِن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَسَـمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، لِلاّثم الصَّابي[2]
* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجِسمُ قد خَفَقَتْ   فيه الحياةُ ، وتَاهـتْ تيهَ غَلاَّبِ ؟
يقولُ مـا تعْجَـزُ الدُّنيـا بِرُمَّتها   عـن أن تقولَ بتصويـرٍ وإعرابِ
* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَـنّ الحياةِ حَوتْ   جَميعَ ما تُبـدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ
غنيـةٌ أنـتِ بالتعبيرِ قَـد ذخرتْ   أطواءُ نَفْسِـك منـه زادَ أحقابِ
* * *

وحي جديد *

فـــي خِفّــةِ الطيْــرِ في نُضْــرَةِ الزّهْــرِ
لا قيتُهــا عَرَضــاً بَسّــامةَ الثّغــرِ
فتّانــةٌ تُغــري بالسّــحرِ والطُّهْــرِ
تَهْفُــو فتَحْسَــبُها لحنــاً هَفَــا يَسْــرِي
في لَفْتــةِ الجيــدِ في خَفْقــةِ الصَّــدْرِ
«تَقْسِــيمُ» موســيقـــــــا أمَنْغُومــةِ النّبْــرِ

* * *

يــا بَسْــمَةَ الفَجْــرِ يــا نَفْحَــةَ العِطْــرِ
أسْــكَرْتِ وجْــدَاني مِــنْ لَوْنِــكِ الخَمْــري
ألْهَبْــتِ إحْسَاســي بالشَّــوقِ كالجَمْــرِ
وَهَمَسْــتِ في قَلْــبي وهَتَفْــتِ في صَــدْري
وبَعَثْتِنِــي أشْــدُو للحُــبّ بالشّــعْرِ
وكأنّــني رُوحٌ تَقْفُــو خُطــا سِــحْرِ
مَفْتُونَــةً ترنُــو للكــونِ في سُــكْرِ
والكــونُ يَشْــمَلُها بالأنْــسِ والبِشْــرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبِي لِمَا أَلْقَى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرِي!
وَحْيٌ يُوسْوِسُ لي في السِّرِّ والجَهْرِ
حوَّلتِ عُمْرِي مِن شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتِني، عَجَبًا! في عِيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكًا في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثقَةً بِجمالِها المُغْرِي
ورسمتِ لي صُوراً لِفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بحنانِنا النَّضْرِ
ونَريشُ أجْنحةً مِنْ رِيشِها النَّزْرِ
فَتطِيرُ هَازِجةً في جَوِّنا الشِّعري
وتؤوبُ وَادِعةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تأذَنِي أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهِبي لي رُوحاً مِن رُقْيَةِ الثَّغْرِ
هِي قُبْلةٌ تُمْضِي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكَأنَّها قَدَرٌ بسَعَادتِي يَجْرِي

* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذجٍ جميلٍ ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سِمَةٌ من الجمالِ الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاَه وإذا هو يَهْفُو إلى الماضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَـــمُ أنّ كلَّ خَواطِــري   تَهْفُو إليــكِ كَرَقْرَقَــاتِ الطَّائِرِ[١]

ما كان سُلْواني سِـــوى أُكْذُوبَةٍ   خُدِعَتْ بِها نَفْســي خَديعَةَ شَـاعِرِ

بَيْنَ الشَّغَافِ وفي مُنَاي وفي دَمي   ألقــاكِ هَاجَّــةً وبــينَ سَــرائري

أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِجي   شَطْري الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِري؟

أنْسَـاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً   مَوْصُولَةٌ بكِ في صَميمِ مَشَـاعِري؟

وإذَا هَفَـوتُ إلى الجمـالِ فإنّما   أهْـوى مِثَالَـكِ في الجَمَـالِ العَابِرِ

أنْسَـاكِ إذْ أنْسَـى حَياتِي كلَّها   فـإذا حَييــتُ فأنْـتِ أولُ خَاطِرِ

نَبَضَ الربيعُ فَكُنْـتِ أولَ نَابضٍ   في خَاطِـري يهفُـو وأوَلَ زَائِـرِ

وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ   نَفْســي لديــه رَغَائِبِـي وذَخَائِري

أنا ذلك الماضِي الذي لا يَنْقَضي   أنــا ذلك الماضي يعيــشُ بِخَاطِري!

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١ - الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلْـمُ الذي كَانَـتْ حَيَاتِي ... مِـنْ حَوالَيـه دُعَـاءً وصَـلاهْ
وتَسابِيحَ وَعَتْهَا أُغْنياتِي ... وانْتَشاءً بأفَاويقِ الحيَاهْ[1]

أيُّها الحُلْـمُ الـذي أطْلَقَنِـي ... مِنْ قُيودي نَحو آفَاقٍ عَجيبَهْ
والَّـذي في الصَّحْوةِ قَـدْ طَوَّقَنِي ... بتَهاويـلَ مِـنَ الوَهْـمِ حَبيبَـهْ

أيُّهـا الحُلْمُ الـذي طَهَّرَ نَفْسِـي ... بالعذابِ الحُلْـوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذي أفْعَـمَ بالآمَالِ كَأْسِـي ... وحَبَانِـي بعدَ رُشـدٍ بالغُرورْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي رَدَّ عَليَّـا ... نَزَقَ الطِّفْـلِ وأهْـواءَ الغُلاَمْ[2]
والـذي نَـدَّى بِدَمْعِـي مُقْلَتَيَّـا ... وعلـى إثْـرِ بُكَائي الابتِسَـامْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الذي جَسَّـمَ وَهْمِي ... فإذَا الأوْهَـامُ في الدُّنيـا حَقيقَهْ
تَتَجَلَّـى في أحَاسِيسِـي وَهَمِّـي ... صِلَـةٌ بالـرُّوحِ والجِسـمِ وَثِيقَهْ

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَعَهـا ... في حَيَاتـي مِثْلَمَـا تَطْلُـعُ نَجْمَهْ
وأرَانِيهـا كَمَـا أبْدَعَهـا ... فِتْنَةً تَشْـقَى بهـا الدُّنْيـا وَنِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي هَيَّــأ لِــي ... أنَّهــا في ذلــك الكــونِ فَريدَهْ

والــذي جَسَّــمَ فيهــا أمَلِــي ... وأمانــيَّ اللَّهيفَــاتِ الشَّــريدَهْ

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي ظَلَّلَهــا ... في خَيالــي بأعَاجيــبِ الظِّــلالْ

فبــدتْ حُوريَّــةً جَلَّلَهَــا ... ألَــقُ الطُّهْــرِ وإشْــرَاقُ الجَمَالْ

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي صَوَّرَهَــا ... كُلَّ يــوم صُــورَةً منْهــا طَريفَهْ

كلُّهــا تَبْــدُو – ومَــا أكْثَرَها – ... عَذْبَــةً جَذَّابَــةَ اللَّمْحِ شَــفيفهْ

أيُّهــا الحُلْمُ الــذي جَمَّــلَ عنْدِي ... كلَّ ماعَــنَّ لَهــا مِنْ نَــزَواتْ!

والذي عَلَّــقَ وجْدَانِــي وَجَهْدِي ... بالــذي يَبْــدُو لها منْ بَــدَواتْ!

أيّهــا الحُلْــمُ الــذي أوْقَدَهــا ... شُــعْلَةً هَوْجَــاء تَذْكُــو في دَمي

كلّمــا تَلْمَــسُ كَفِّــي يَدهَــا ... تَلْمَــسُ النَّشْــوةُ قَلْبِــي وفَمي!

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي كَانَ وكَانْ ... أينَ نَحْنُ الآنَ مِــن هذَا الزَّمَانْ؟

أيْــنَ أنْــتَ الآنَ يَــا سِــرَّ حَياتِي ... أينَ أنْــتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودِي!

أينَ يَــا وَحْيَ نَشِــيدي وصَلاتِي؟ ... أيْــنَ؟ في وَادٍ مِــنَ الصَّمْت بَعيد

بيننَــا وَادٍ مِــنَ البُعْــدِ سَــحيقْ ... بَيْنَمَــا أنْــتَ هُنا مِــلءُ فُؤادي

كَإلــهٍ حَوْلَــه الصَّمْــتُ العَميقْ ... وهُــو في كلِّ شُــعُورٍ وفُــؤَاد

لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــدْ أيْقَظْتَنِــي ... فإذَا الصَّحْو خَــواءٌ[٤٣] في خَواءْ

لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــد فَارَقْتَنِــي ... فَــإذَا الكَــونُ هَبَــاءٌ فــي هَبَاءْ

أيُّهــا الحُلْمُ تُــرى كُنْــتَ خدَاعاً ... إيــه مَــا أصْدَقَه هَــذَا الخدَاعْ!

أيُّهــا الحُلْمُ الــذي فَــاتَ وَدَاعاً ... ما الــذي نَمْلِكُه غيرَ الــوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْـــلاك كالشــيطان أقْلاكَ   أقْلاكَ كالسُّم يَسْري جَدٌّ فتّاك[1]
أقْـــلاك: إنّك في نَفْســـي وفي زَمَني   وفي حياتـــي أفْعَى ذَاتُ أشْـــواكِ
سَمّمْت عَيْشـــي وأحْلامي وَأخيلَتي   وأنت شـــيطانة في سمـــت أملاك
وعشْـــتُ أرْعَاكِ في قَلْبي وأنْت بلا   قلب يُحَـــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك
مَنْ أنتِ؟ مَا أنـــتِ؟ إنّي حَائرٌ قَلقٌ   أأنْتِ أُسْـــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَـــى اللّيالِي الـــتي قَضيّتُها قَلقاً   وأنـــت سَـــاكِنَةٌ رَاض مُحَيّـــاكِ
أنْسَـــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً   ولســـتُ لولا هَواكِ المُرُّ بالبَاكي
وكِبْريائِي التي مَـــا كُنْتُ أخْفضُهَا   منْ قبلُ أو بَعـــدُ في دُنْيَاي لَولاَكِ
أنْسَـــى. وأذْكُرُ أحْلامِي وأخْيلَتي   كَأنّهُـــن نجـــومٌ بـــينَ أحْـــلاَكِ
وكلُّهُن نَســـيجُ الوَهْـــمِ في خَلَدي   ولَسْـــنَ غـــيرَ أحابيلٍ وأشـــواكِ

* * *

أقْـــلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْـــتُ أقلاك   أهواكِ؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْـــتُ أهْواك
أهـــوَى وأقْلَـــى وأيامِـــي مُوزَّعَةٌ   بينَ الهوى والقِلى كالضّاحك البَاكي
هذا الرّحيقُ وهذا السُّـــمُّ قد مُزِجَا   ولســـتُ أرْوَى بكأسٍ غَـــيرَ رَيّاك
هَاتي لِيَ السُّـــمّ صِرْفاً لا يُمَازِجُه   هذا الرحيقُ فإنّي لســـتُ بالشّاكي
مَللتُ كَأسَـــكِ لا ألتذّ نَشْـــوَتَها   ولا أُحطِّمُهـــا تَحْطِيـــمَ سَـــفّاكِ

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.
١- أقلاك: أكرهك.
٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَـذَا اللّقَـاءُ كَأنَّـه ذِكْـرَى مَكْنُونَـةٌ في عالَـم النَّفْـسِ
وكأنَّـه وَهْـمٌ أَجَسِّـمُه لا حَـادِثٌ في عَالَـم الحِـسِّ

* * *

هَـذا اللِّقَـاءُ الخَاطِـفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّـفُ الأنْظَـارِ في حَـذَرِ
كثُمالِـةُ الأحْـلَامِ، كالذِّكْـرَى في رِعْشَـةِ اللفتَـاتِ والصُّـورِ

* * *

أُخْتَـاه. وَاعجبـاً لَنـا! عُدْنَـا في هـذه الدُّنْيَـا غَريبَيْـنِ
عُدْنَـا إذا مَـا خِلْسَـةٌ سَـنَحَتْ نَمْضِـي علـى حَـذَرٍ كَلِصيَّنِ!

* * *

ألقـاك مثْـلَ الطيـفِ عَابِـرَةً وكأنَّ مَـا قَـدْ كَانَ مَـا كَانَـا
وكأنّمَـا الأيـامُ مـا شَـعَرَتْ أنَّـا عَمَرْنـا قَـطُّ دُنْيانَـا!

* * *

وتُفكِّريـنَ كَأنَّمَـا افْتَرَقَـتْ مـن مَطْلَـعِ الدُّنيـا طَريقَانَـا
وتذكّريـنَ كأنّمـا اجْتَمَعَـتْ في خَاطِـرِ الأيـامِ ذِكْرَانَـا!

* * *

مـا أنـتِ؟ إنِي لَـمْ أجِـدْ أبداً أني كَشَـفتُك قَـطُّ في النُّـورِ
مـا أنـتِ إلا فكـرةٌ شَـرِدَتْ مـا أنـتِ إلا طيـفُ مذعورِ!

* * *

وشَـقيَّةُ الخُطُـواتِ عَاثِـرةٌ في حَيثُمـا اتَّجَهَـتْ لِمَأْمُـولِ
وكأنّمـا تَمْضِـي مُرَوَّعَـةً وضميرُهـا يُضْفِـيَ لِمَجْهُـولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَباً! أنْت مَا تَزَالينَ حُلْمي وَمِثالي وَفِكْرَتي ونَشيدي
مَا تَزَالينَ في خَيالي رَمْزاً لِرَجَاء مُنَوَّرٍ مِنْ بَعيد
مَا تَزَالينَ حَافِزاً لِجُهودي مَا تَزَالينَ غَايةً لوجودي
أَتَحاشَاكِ بِالجَفَاءِ وبالبَأ سِ فأرتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهُودي
أَتَحاشَاكِ كالجحيم وكالسُّمِّ ولكن إليكِ يُفْضي شُرودي

* * *

عَجَباً! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأنْسَاكِ قليلاً في غَمْرَتي ورُكُودي
فإذا دَبَّتْ الحياةُ تَراءَى كطيفٍ مُستَيْقظٍ مِنْ هُجُود
وتَراءتْ تَرِقُّ حولَكِ أطْيَافٌ لِمَا كانَ بَيْنَنا مِنْ عُهُود
كلّ مالا مست يداكِ وماما س هوانا من قيمٌ وزهيد
أتملاّهُ بالخيال وبالحـ س كهاوٍ من عالمٍ موعود

* * *

عجباً! بعدَ كلِّ مَا كَانَ منّا مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهيدِ
أتَمَنّاكِ في المَنَامِ وفي الصَّحْـ و تَمنّي العَقيمِ وَجْهَ الوليدِ
وإذَا سِرْتُ في الزّحَامِ فَعَيْني لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ مِنْ بَعيدِ!
لهفةٌ تَمْلأُ الحَنَايا حَنيناً لرجاءٍ مُجَسَّمٍ مَفْقُود
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـ ر فَأنّى[45] لِحُلْمِنا من مُعيدِ

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نسألُ أيَّانَ وأيْنَا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدّهْرِ تمشَّتْ تُسْبِلُ السّتْرَ عَلَينا
* * *

اضْربي في زَحْمَة الأرضِ على غيرِ طَريقي
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ
* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه
* * *

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدِمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فتَمْضي قدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جَنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرض بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[1]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضِي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب



وادعاً كالزَّهرِ حَيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْتِ في ظلِّ الوُجُومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قــد تولَّــتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهــا وبــدت كالميِّــتِ المُحْتَضِــرِ
تَفْتَــحُ الأجفــانَ أو تَغْمِضُهــا فتحــةَ الضَّعْــفِ وغَمْــضَ الخَوَرِ
وشَــذَاهَا لَــم يَــزَلْ يُفْعِمُــني فيعيــدُ الشَّــجْوَ لي بالذِّكْــرِ

* * *

العود*

مُحَلِّــلُ القَلــبِ أنْغَامــاً وألْحاناً ومُلْهِــمُ الوَحْي إســراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِــنَةٌ وأَنْــتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَامِ وَسْــنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارجِها[46] وتطــرقُ العالَم العُلْــوِيَّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْــجاناً
وواهــبُ الحِسِّ لُطْفــاً في مَدَارِكِه ومُوحِي الشِّــعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَــلْتَ نَفْســي بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[1]
كأنَّ ألْحانَــك اللائِــي تُردِّدُهــا أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّهــا هَمْــسُ جِــنٍّ أو ملائكةٍ أســرٌّ عن عالمِ الإنســانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفـسِ مِثْلَ الجسـمِ آذانَا

وتسـتحثُّ خَيـالاً كان في دَعَـةٍ   فيذرِعُ الكـونَ آفاقـاً وأزماناً

وتمـلأُ النفـسَ باطمئنانِهـا ثِقَةً   وتغمـرُ القلبَ إخْلاصـاً وإيمانا

* * *

حديـثُ أيِّ فـؤادٍ أنـتَ تَذْكُرُه   أَبَاسِـمٌ فَـرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـا

وأيُّ وَحْـيٍ لَنـا تَرْوِي رسَـالتَه   فيؤمـنُ الناسُ أفْـكاراً وَوِجْدَاناَ

عَنِ القُلـوبِ جميعاً أنـتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأنَاسـيِّ ما خَصّصتَ إنساناً

عـنِ الحيـاةِ ومـا فِيهـا تحدثُنا   فكلُّنـا مُؤمِـنٌ يـزدادُ إيقانَا[1]

عن الطبيعـةِ تَروِي وهـي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فمـا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمــس، وبالأمسِ القريبْ يَتَــراءى كالأمانــي هَــا هُنــا
هائماً كالــرُّوحِ يغــدُو وَيئُوبْ والرجــاءُ العَــذْبُ في وَادي المُنــا
وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ في ظِلِّ الوُجُومْ[١]
حَالما يصحُو قليلاً ويَهيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهــرةٌ قــد كَادَ يَعْرُوهــا الذُّبُولْ ثم حَيَّتْهــا تباشــيرُ الربيــع[٢]
فهــي تَرْنُو بــينَ صَحــوٍ وذُهولْ مثلما تحْتــارُ في العــينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنُ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميــةٌ تُوحِي بأشــتاتِ المَعَانِي وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مِثْلَ أطيـــافِ الأمانِي   ســـامياتِ الوَحْيِ كالعطفِ الرَّفِيقْ

وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟

فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ

وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ

والأناسِيُّ لِئامْ

مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمـــسِ ولَكن قـــد تولّى   ذلـــك الأمْـــسُ فَخـــلاّنِي وغَـــابْ

وإذا بِـــي مُوحِـــشٌ لا أتَسَـــلّى   والخصيبُ النَّضْـــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ

أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]

ثم يَعْرُونِي لِذاكَرَاها الحنينْ

فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ

إيه ساعاتِ الأمانِي

أتُرى قَدْ تَرِجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ وصَحَــا جَفْني لَدى غَفْــوِ الجفُونْ

وتــوارتْ ضَجَّــةُ العَالَــمِ في هَــدْأةِ الليلِ يُغَشِّــيها السُّــكُونْ

حَنَّتْ. الــوُرْقُ فلمَّـــا هَجَعَتْ بَعــدَ لأي هَيجَتْ عنْــدي الحنينْ[1]

ذكريــاتٌ مَــا لَهــا تَتْبعُــني حيثمــا سِــرْتُ وأيــانَ أكُــونْ

صُــورٌ شــتى إذا مــا عَرضَتْ صَــوّرَتْ لي واضحاً طيفَ الســنينْ

وأرَتْنِــي كيفَ يمضِــي العُمْرُ لا يشــعرُ المــرءُ بــه حــتى يَحــينْ

يَتقضَّــى العُمْــرُ في أحلامنــا وإذا نَصْحُــو صَحَتْ غُــولُ المَنُونْ

وأرتْنِــي شَــبَحاً مِــنْ عَــدمٍ يتبــعُ الأحيــاءَ أنّــى يَترِلُــونْ

يَبْلَــغُ المَاضِــي مِــنْ آثارِهــم فَاغِــراً فَــاهُ لِمَــا يَسْــتَقْبِلونْ

* * *

إيــه يــا ليــلُ أرانِــي مُغْرَمــاً بحديــثٍ منْكَ يُشْــجِى السَّــامعينْ

هــاتِ مــا عِنْــدَكَ لا تبخلْ به بلســانِ الصَّمْــتِ والوَحْــي المُبينْ

أوْحِ للأنْفُــسِ مــا حُمِّلْتَــه مِــن جــلالٍ وخُشُــوعٍ ويقَــينْ

هــاتِ يا ليــلُ أحَاديــثَ الهوى واتلُ يــا ليلُ شُــجُونَ العاشِــقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخــرْ فيــك صَــدى أنّاتِهم   لا تُضِــعْ يــا ليــلُ أصْــدَاءَ الأنينْ

إنَّهــا ذوبُ قلــوبٍ فُطِــرَتْ   ونفــوسٌ داميــاتٌ وعُيــونْ

كَم ســلاماً فيــك قــد حُمِّلْتَه   من مُحــبٍّ وامقِ القلــبِ حَزينْ[1]

رُبَّ سِــرٍّ غامــضٍ أُودِعْتَــه   في حَنايــا الصَّــدْرِ مَخْبــوءٌ دفينْ

ضَاقَ صدْرُ الصَّــبِّ عن كتمانِه   فــأراكَ السِّــرَّ دون العالمــينْ

* * *

مُــرْ يا ليــلُ فقــد أشْــجَيتَني   عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُــكونْ

إنّ لي فِيــكَ لَشَــجْواً وأسَــىً   ومُنَاجَــاةً وشَــكوى وحنــينْ

عبَثــاً أنْجُو بروحِي مِــنْ حنينِ   هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ

إنــي أهْــواكَ يــا ليــلُ ولكنْ   أنْتَ بالإشــفاقِ والعطــفِ ضَنينْ

تبعثُ الأشــجانُ مِــنْ مَكْمَنِها   رحمــةً يــا ليــلُ بالمســتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس *

نَسَـــمَاتٌ زَفَّهَـــا الفجـــرُ الوليدُ   بعد ما جَـــاشَ بها صَـــدْرُ الحَياةْ
ناعمـــاً مِثْـــلَ أنفـــاسِ الـــورود   بَلَّـــلَ الطـــلُّ شَـــذَّاها بِنَـــداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشِّـــيها الســـكونُ   وظـــلامُ الليـــلِ والنـــومُ العَميق
طِفْلَـــةٌ قد ضمَّهـــا الليـــلُ الحَنونُ   ضَمَّـــةَ الرحمـــةِ كالأمِّ الشَّـــفُوقْ

* * *

وتـــراءى الصُّبْحُ في سَـــمتٍ بديعٍ   فـــإذا الطِفْلَةُ تَصْحُو من سُـــبَات
تُرْسِـــلُ الأنفـــاسَ في رِفْـــقٍ وديع   وإذا الأنفـــاسُ تلك النَّسَـــمَات

* * *

وإذا الزهـــرُ يُحَـــيِّ في ابتســـامْ   ذلك الصبـــحَ ويرنُـــو فِي هُدوء
كابتســـامِ الطفلِ في عهـــدِ الفِطام   حينمـــا يَحْلُـــمُ بالشَّـــذْي المَليء

* * *

وإذا الطـــيرُ وقَـــد رَانَ النُّعـــاسُ   فـــوقَ عينيـــهِ تَنَـــزَّي فَصَحَـــا
يرمـــقِ النـــورَ بهمـــسٍ واختلاسِ   فَيُحَيِّيـــه   طَرُوبـــاً   مَرِحَـــا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُـــدْفِ الظلامِ   مثلمـــا يَبْسَـــمُ للغَانِـــي الأمل[1]
يَلْثُـــمُ الكـــونَ ببشـــرٍ وابتســـام   ويُحييـــه   برفـــقٍ   في   القُبَـــل

* * *

١- سدف: سواد

وتـــرى الأنفـــسَ في هـــذا الحَنانِ   سَـــاكِنات بينَ أحضـــانِ الطَّبيعَه

ســـاهياتٍ رَاضيـــاتٍ في أمـــانِ   تُرْسِـــلُ الطرْفَ بنَظَـــراتٍ وَديعه

* * *

عَالِمـــاتٍ في كَراهـــا يَقِظـــاتٍ!   ســـابحاتٍ في التَّعلاَّتِ الوِضَاءْ[1]

تُنْشِـــدُ الآمالَ عَـــذْبَ الأغْنياتِ   بينَ سَـــمْعيها ويحْدُوهـــا الرَّجَاءْ

* * *

فتـــرةٌ في مَطْلِـــعِ الفجـــرِ تَمـــرّ   هي حُلْـــمٌ مثـــلَ أيـــامِ الطُّفُولَه

فـــإذا مَـــرَّتْ فجـــوٌّ مُكْفَهِـــرٌّ   هـــو في الطِّفْلِ شَـــبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْـــتُ بأحضَـــانِ الصبَّاحِ   أو قضيتُ العُمْرَ أســـتمتعُ طِفْلاَ!

لا ولا هـــذا مـــن الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ   لا ولا قـــد عُدتُ أســـتمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِراحٌ طروبْ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهِن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهـا تُغَـرِّدْ لَحنهـا وتُرْجِّـعْ وتمرحْ ما شـاءت وتَلهُو وتَرتَع

دَعيهـا تُنَمِّـقْ للحيـاةِ تحيـةً وتبعثُهـا لحنـاً يَلَـذُ ويُمْتِـع

دَعيهـا تُعَبِّـرْ عن مَشـوقٍ مُتيم تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع[1]

دَعيهـا فَفِى ألحانِهـا، الحبُّ نَاطقٌ ومن وَحْيه تَشـدُو مَليّا وتَسْجَع

دَعيهـا فقـدْ رَوَّعْتِهـا وتَرَكْتِها مُشـتّتَةً حَيْـرى تُطِـلُّ وترجِعُ

* * *

عزيـزٌ عليها عُشُّـها دَرَجَـتْ بِهِ فِراخـاً نَحيـلاتٍ تَهُـمُّ فَتَقْعُدُ

يُطالِعُهـا رُوحُ الربيـعِ فتَنْتَشِـى ويَدْهَمُهـا قَـرُّ الشِّـتاء فَتَجْمُدُ

وتَنْشَـقُ أنفـاسَ الصبّـاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجَاءُ فَتَسْعَدُ

وظَلَّلَها في عشِّـها الحـُّب حَانياً عَلَيهـا قويّـاً مُنْعِشـاً يَتَجـدَّدْ

* * *

فَـكانَ لهـا زاداً إذا قَـلَّ زَادُها ورَوحـاً وريْحَاناً ولَحنـاً يُرَدَّدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألَحَّ عليه.

وَيَا طالَمَــا غَنَّتْ ويا طالمــا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى

ويا طالَمــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)

وكَم ليلةٍ مَرَّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمَّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً

دَعيهــا. بمهــدِ الذكريــاتِ أمينةً تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى(٦)

دَعيها أجَــلْ لا تَعْبَثِي بشــعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفِظتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ مــن اللهوِ فاعبثِي بألبابِنــا لا بالطيــورِ الهَوائم!(٧)

وَهَبْتُكَ إحسَاسِي فما شئتِ فاصنعِي أميـنــاً لعهدِي مُخْلِصاً غــيرَ نَادِمِ

وقَاكِ الجمالُ السَّــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَــى مَقالَةَ لائم(٨)

ولكنَّهــا الأطيــارُ تَلْهُــو بريئــةً فما بالهــا تُدْهَــى بِفَعْلَــةِ ظَالمِ!؟

دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها فمــا كان أوْلاَها بِرَحْمَــةِ رَاحِمِ!

* * *

يوم خريف*

وَقَفَ الكونُ شَــاخصاً في سُــكونٍ وتَــراءى لِخَاطِــرِي كالحزيــنِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبــدُو كبَاهتــاتِ الظُّنُــونْ
وكأنَّ الزَّمــانَ سَــاوَرَه الحُــزْنُ فأغْفــى إغفــاءةَ المُسْــتَكِينِ[1]
وكأنَّ الأفــلاكَ أجْهدَهــا السَّــيْرُ فنــاءتْ بَحمْلِ عِــبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقــدارَ أرْخَــتْ يَدَيْهــا وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشــؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَــاهماً ليس يَدْرِي أينَ يَمْضِي؛ وأينَ لَو شَــاءَ يَمْضِي
طَالَمــا دَارَ بالأنــامِ وداروا بــينَ رَفْعٍ مِــنَ الحيــاةِ وخَفْضِ
ثم ماذا؟ تَســاءَل الكــونُ: ماذا؟ أحيــاةٌ مــا بــينَ غَــزْلٍ ونَقْضِ
أيّمــا غَايــةٍ نَــؤمُ إليهــا أيُّ قَصْــدٍ قَضَيْتُــه أو سَــأقْضِ
تَعَــبٌ ضَائِــعٌ وجُهْــدٌ غَبِــيُنٌ ومَصــيرٌ مُقَنَّــعٌ ليــسَ يُرْضِــي

* * *

وسَــرى اليــأسُ والخُمُــولُ إليه فتَرَاخَــى في سَــيْرِه كالبليــدِ
وتَمَشــى الهُمُــودُ في كلِّ شــيءٍ مِشيةَ الدَّاءِ بالأســى والكُنُودِ[2]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: واثبه

٢- الهمود: السكون.

فـإذا الـدَّوحُ في وجُـومٍ كئيبٍ   وإذا الطـيرُ في ذُهُـولٍ شَـريد
وإذا الزَهْـرُ في الريـاضِ أسـيفٌ   كصغـارِ الأيتـامِ في يـومِ عيد
وإذا بالزمـانِ يعطُـو كَسـيحاً   كأسـيرٍ يُسـاقُ نِضْـو القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّـماءَ والأرضَ، مَرْضَى   بَرِمَـاتٌ بثقلـةِ العُـوَّادِ![1]
وترى السُّـحب في السماءِ تغشَّى   ناظِرَيهـا كَصَفْحَـةٍ مِـنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ مِنَ الحُزْنِ   ثَكُـولا تَسْـربَلَتْ بالحـدادِ
والفَنَـاءُ المريـضُ، طـافَ عليها   طائـفٌ مِنْـه في ثَنَايـا الرُّقَـادِ
كلُّ شَـيءٍ يرنُـو إلى كلِّ شـيءٍ!   كسـجينٍ يَرْنُـو إلى الجَـلَّادِ

* * *

مَأتَـمٌ صَامـتٌ يُهـوِّمُ فيـه   شَـبَحُ اليأسِ والقُنُـوطِ العَقيمِ
ليـسَ مـوتٌ وليـسَ ثَـمَّ حَياةٌ   كُلُّ شـيءٍ في صمتِه كالسَّـقيمِ
والوُجُـومُ الـذي يُغشِّـى عليها   كاسِـفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!
وخُفُـوقُ الأرواحِ أبْطَـأ نَبْضـاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[2]
أَسْـبَلَتْ عَينَهـا الحيـاةُ سَـآما   واسْـتَنَامتْ لليأسِ والتسـليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.

٢- السديم: الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتترى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتترى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية منَ النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّـمَ الدَّهْـرُ قُـواه فـا نْحَطَمَ ... وتـتَرِّي الـداءُ فيـه والألم

ودَوّتْ مـن فيـه تعـوِي صَرْخَةُ ... تَتَلَـوّي فيـه حـتى تَحْتَـدِمْ

صَرْخَـةُ الجبـارِ يَشـكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشّـكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ [1]

يَشْـتكي العجـزَ ومـا يُؤلِمـهُ ... فيـه إلا كَبْـحُ نفـسٍ تَضطرم

يَشْـتكي العجـزَ الـذي أقعدَه ... عَنْ صراعـاتٍ وهـولٍ يُقْتَحَمْ

تسـمعُ القـوةَ في صَرْخَتِـه ... مِـن وَراءِ العجزِ تَـدْوِي فتُصِمْ

ويَهـمُّ البـأسُ في أشـلائِه ... ناهضـاً ؛ لكنما العجـزُ جَثَـم

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- الرَّغم: الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِي صَرْخَتهُ ؟ أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامِضُ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزِيمٌ؛ ورُجَمْ[1]

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَـاءُ صَمّاءُ تُعْوِلُ أَقضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[٢]

لذلكم الصَّخَّـارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ولمّا يَـزَلْ لليلِ في الصبُّـحِ مَدْخَلُ

أَكبَّ علـى تحطيمِـه وانتحاتِه كَراجٍ له في ذلـك الصَّلْد مَأمَلُ[٣]

يُطَوِّحُ في عُـرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ويهوى على الصَّمّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ

ولكنَّهـا تَلْقَـاه صَمّاءَ لَـمْ تَلِنْ وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ

يـدورُ حَوالَيهـا لِيُـدْرِكَ مَقْتَلاً وهَيهـاتَ في الصَّلدِ الأصمَّاءِ مَقْتَلُ

ويَغْمِزُهـا غَمْزَ الخبـيرِ ويَنْثَني يحـاوِلُ مَـا أعيـاه، لا يَتَحَـوَّلُ

وقد جَـاشَ في أعضائِه كلُّ نَابضٍ وسَـالَ دَمٌ في صورةِ المـاءِ يَهْطِلُ!

وحـينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعـدَ طَرْقَةٍ تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]

فَأرخي ذِراعَيْه، وأسْـنَدَ جِسْمه إلى مِعْـوَلٍ؛ نَضّاه للكـدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.

١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)

٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

٣- الصّلد: اللب الأملس الشديد.

٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَسـيلُ جُهـودٌ أو دِمَـاءٌ نَقيةٌ لِيُنْصَـبَ تِمْثَـالٌ ؛ ويُرْفَـعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقيِّ وليـسَ له في ذلك القصـرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصـارَاه شَـرابٌ ولُقْمَةٌ ومَأمَلُـه في ذلك الصَّلْـدِ مأكل!

قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أسـودَ كالحٍ وأفراخُه كُثْـرٌ؛ وأَنْثَـاه مُطْفِلُ[1]

فـإن كانَ إكليـلٌ فهـذا جَبينُه وَإنْ كانَ تمثـالٌ فهـذا المُمَثَّـلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي أمامَ بني الإنسـانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أنثاه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِي إلى مَدَاه البَعيدْ

ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!

يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلِّ هَذَا القَصيدْ

منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نِيلُ سَعيدٌ بِحُلمكَ المَعْهُودْ

يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاك حُلْمُ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨٠

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَـطُّ ما تَشَـاءُ فإنّي رَغمَ سـحرِ الجمالِ والمـوجِ رَاحلْ
رَاحلُ حَشْـدٌ نفْسـه لفَتَاتٌ ليـسَ عـن فتنـةِ الجمـالِ بغَافلْ
قـدْ دَعَتْـهُ إلى الرّحيـلِ ديارٌ في صَميـمِ الجحيمِ تُدْعي الشَّـواغلْ
هي قبرُ الآمـالِ والفنِّ والحبِّـ ـب وقَيدٌ عن كلِّ ما شـاقَ شَاغلْ
وهي دَارِى التي دَرَجْتُ عليها وإليهـا المـآبُ مَهْمـا أُحـاوِل !

* * *

أُحْلُ يا شـطُّ بالجمـالِ طَليقاً مـن قُيودِ الزمـانِ نَشْـوانَ واهلْ
أَسْـكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي دَفَعـاتِ الحيـاةِ في كلِّ نـازلْ
فـيَرَى نفْسَـهُ خفيفـاً غريراً قاهـراً قـادراً يجـوزُ الحوائـل
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْـنَى مـن بَريقِ الآمـالِ في نفْـسِ آمِلْ

* * *

أُحْـلُ ياشـطُّ بالعَرائسِ حُوراً سَـابحاتٍ والمـوجُ ظمـآنُ نَاهـلْ
كانْفتَـالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً وانثنـاءِ الغـزْلانِ والشـطُّ ذَاهِلْ
فتنـةٌ تَسْـكُبُ الحيـاةُ عليها سـحْرَها والعيـونُ حُـورٌ قَواتِـلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقِظُ في النَّفْـ ـس ظَمـاءً مُرَقْرَقـا في الدّخَائل
وانطلاقـاً من التَّزمُّـتِ والعُر فْ وشَـوْقاً إلى المباهـجِ واغِـلْ
أُحْلُ يا شـطَّ لن نُطيـقَ انْفلاَتاً مـن رَحيـلٍ إلى جحيمِ الشَّـواغلْ

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

علـى ضفـاف الخلـودْ وفي شـعاب الزمـنْ
والدهـر يحْبـو وليـدْ قـد كان هـذا الوطـنْ

* * *

يـا فجـرُ مَـنْ ذا رآكْ تجـولُ تلـكَ السماءْ
وليـسَ حَـيٌّ سِـواك تُهـدى إليـه الضيـاءْ؟

* * *

رأتْـكِ تلـكِ الضّفـافْ رأتـكَ تلـك البُـرورْ[1]
رأتْـك قبـلَ المطـاف وأنـتَ طفـلٌ غريـرْ

* * *

وشـبْتَ والدّهـرُ شَـابْ وحنّكَتْـك الحيـاةْ
والنيـلُ بـادي الشبابْ والزهـر يَقْفـو خُطـاهْ

* * *

يَنْسَـابُ مثـل النَّغَـمْ في عَـزف نـاي طـروبْ
وكانسـيابِ الحُلُـمْ تُضْفِـي عليـه الغيـوبْ

* * *

خريـرةُ صَلَـواتْ مُعطَّـرَاتُ النشـيدْ
وموجُـهُ أغنيـاتْ مُرتّـلاتُ القصيـدْ

* * *

يـا نيلُ كـم مـن شراعْ يـا نيـل كـم مـن سَـفينْ
أسْـلَمْتَها للـوَداعْ علـى مَـدَارِ السّـنيـن

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٤.

١ – البرور: مفردها البرّ (الشاطئ)

يــا نيــلُ كَــمْ مــن جُمــوعْ ماجَــتْ بتلــك الضفــافْ
يــا نيــل كــم مــن زروع وذِي وذِي للقطــاف

* * *

وأنــتَ صنــوُ الخلــود وفي يديْــك الزّمــام
وكلّ عَــامٍ تعــودْ مُجــدَّدَ الأيــام

* * *

تجــرى فتجــرى الحيــاة ويُمْــرِعُ الشــاطئان
ويســتفيقُ الرُّعــاه وتمــرَحُ القُطْعــان

* * *

ويَنشــطُ الــزرزورْ يجمّــع العيــدان
لِعشّــه المعْمُــورْ بفرخــه الوَســنان

* * *

أكادُ خلــفَ القــرون أُحــسُّ رِكْــزَ الجمــوع
أراهُــمُ مُهطعــينْ فيَ موكِــبِ للربيــع

* * *

قــد شَمَّــروا للحصــاد وخَلّفــوا إمشــير
في فرحــةِ الأولادِ تســابقوا للبكــور

* * *

وموكــبٌ للــرّواحْ في كلّ يــوم يــؤوب
يزفّــه الفــلاحْ علــى مَــدارِ الغــروب

* * *

من الحقولِ المَريعةِ إلى الحِمى والدِّيار
تضمُّ فيهِ الطَبيعةْ أبناءَها الأبرارْ

* * *

لُحُونُه من صياحْ ومن رُغاءِ النَّعَمْ(١)
ومن رجيع النُّباحْ ومن ثُغاءِ الغنمْ

* * *

على مَدارِ القرونْ يسيرُ فيه الرُّعاهْ
كأنهم خالدون ما بُدِّلوا في الحياةْ

* * *

أُحبُّ فيك الخلودْ يا أيُّها الوادي
أحب فيك الصمودْ للقاهرِ العَادي

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفودْ وأنت يقظانُ ساهرْ
تصوغُهم من جديدْ كأنما أنتَ ساحرْ

* * *

يا مَهبطَ الأسرارْ من الغيوب العميقَةْ
يا موطنَ الأسحارْ من القرونِ السحيقةْ

* * *

يَأوي إليك الزمانْ خوفَ البِلَى والفَناءْ
يأوي لحصن الأمانْ فيستمدُّ البَقاءْ

* * *

ووجهك الفَتَّانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يَزْدانْ بَزرعك الأخضرْ

* * *

ترنُو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرضُ يا دنياي يا آيةَ الخالقْ

* * *

يا أرضُ كَم تَحْلُمين بالزهرِ أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طول السنين يا أرَضُ ، تلك الأزاهرْ

* * *

وريحك المعروفْ يشمُّه أَنْفي
فيَ خاطرِي مألوف مميز العَرْف

* * *

يا أرض، هذا الصعيدْ مقدسٌ في ضميري
سَرى عليه الجدودْ وأخلدوا للقبَورِ

* * *

يكادُ فَرْطُ الحنينْ إليهمُ فِي شُعوري
يردّهم شاخصين إلى خلف الدهوَرِ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفينْ مُغيَّبُ في ثراك
يَرُدُّنا مُوثقين إليكِ أسرَى هواكِ

* * *

هــذا الثــرى المنشــور في صفحــة الــوادي
عرفتــه في الضمــير رفــات أجــدادي

* * *

يِــا أرض. هــذا النشــيد مــن وحيــك العبقــريّ
فاقْضِــي لــه بالوجــود بســرّك القُدُسِــيّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

في الجوّ رائحةٌ تُوسْوِسُ في الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خدرَتْ يُعاوِدُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوقِ المجنَّحِ في مَتَاهَاتِ الضَّميرْ
وكأنّ رائحةَ الحياةِ تَدَبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغماتِ سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتافِ مشتاقٍ تَولّه لا يكفُّ عَنِ الدُّعَاءْ
الأرضُ تَفْتنُه ويَرْنُو في ابتهالٍ للسَّمَاءْ!
والصّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَأُ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَلِ المُليحةِ في الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَاتِ في شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلّعُ الصُّوفيِّ في شوقٍ إلى ذاتِ الإلَهْ!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتفِ والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوَالمِ تائهاتٍ لا تَبينْ
ويُهَدْهدُ الأحلامَ والذِّكرَاتُ شتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرِفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥

١- الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَــلُّ مــن الحُــزْنِ والمَأتَــمِ جَمَالُــكِ. إنْ كُنْتِ لَــمْ تَعْلَمِي!

وَقَــدْ دار حــولَ الجبــينِ الخمارُ تَشَعْشَــعَ°° كالليــلِ بالأنْجُــمِ!

كمــا أَرْسَــلَ الصبــحُ لآلاءَهُ بَريئــاً مِــن الصِّبْغ كالعَنْــدمِ![1]

وفي شَــفَتَيْكِ الجَنَــي والرَّحيــقُ ولكــن طَهُــرْتِ فَلَــمْ تَأثَمــي

وكَفُّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَــفِيفُ سِــوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]

وفِتْنَــةُ هــذا الجَمَــالِ العَميــقِ وطُهْــرٌ نَمَــاكِ إلى مَــرْيَمِ

* * *

هُــو الحِلْمُ بــينَ ضِفَــافِ الجِنَانِ يَــرِفُّ علــى ثَغْــرِكِ المُلْهِــمِ

ويَطْــرُقُ عَيْنَيــكِ في سَــبْحَةٍ إلى عَــالمٍ شَــاعِريٍّ ظَمِــي

تَحجَّــبَ بــينَ شِــعابِ الغُيوبِ وأومَــضَ في قلبِــكِ المُفْعَــمِ

ضَمــيري يُحِسُّــكِ أُغْــرُودةً علــى شَــفَتيْ خَاطِــرٍ مُبْهَــمِ

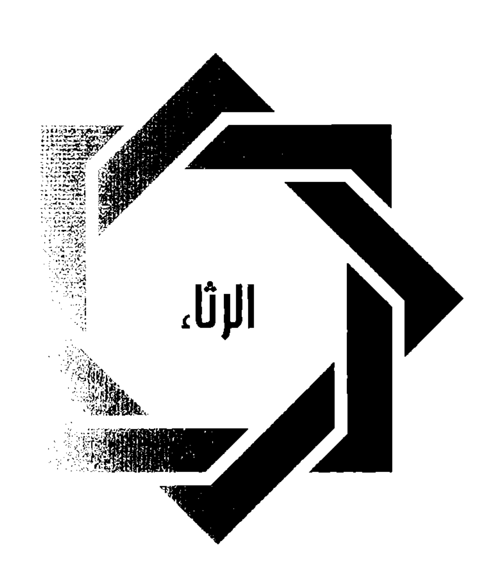
* * *

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١ – العندم: صبغ تختضب به الفتيات.

٢ – وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم ير منه إلا عيناها، والمراد [illegible] قبلة سريعة خفيفة.



الرثاء

ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانِعينَ الضُّعَفَاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبون الدُّعاء

وحي الخلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ والذِّكْرُ عُمْرٌ لا يَبيدْ

فإذا انتهى أجَلُ العظيم فَذِكْرُه أجلٌ جَديدْ

ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ آثارُه تُحْيي الجنودْ

وَمضَى شهيداً طاهراً يا نعْمَ ذَيَّاك الشهيدْ

هو عَلَّمَ الشعبَ الجِهادَ وأيقظَ القومَ الرُّقُودْ

هو كانَ رَوحاً بيننا يَحيَا فيُحْيي مَنْ يُريدْ

هو كانَ كالأملِ المُضيء وكانَ كالجَدِّ السعيد

هو قد حَبا الأشبالَ مِنْ عَزَماته بأسَ الأسودْ

فإذَا مَضَى الأسدُ الهصورُ فَخَلْفَه أَسدٌ عَتيدْ

وإذا خَبا الرأيُ الرَّشيدُ فَخَلْفَه رأيٌ رشيدْ

يا سعْدُ أدْمنتَ الجُهودُ فحسبُنا تلك الجُهودْ

* * *

نَمْ مطمئناً بعدمَا عَلَّمْتَنا معنى الوجودْ

الشعبُ بعدَك لم يَعُدْ يُثْنيه وَعدٌ أو وَعيدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشـعبُ لا يرضَـى القُيـوَ دُ ولم تنـلْ منـه القُيـودْ

الشـعبُ نَصَّـبَ[75] مصطفـا كَ وكاتمَ السِّـرِ الـودُودْ

وهـو الأمـينُ علـى العهـو دِ فمـا يخُـونَ ومـا يَحيـدْ

يـا أيُّهـا الخَلَـفُ العظيـُ ـم ويا أخَـا الرأي السـديدْ

الشـعبُ خَلْفَـكَ كُتلـةٌ في مَوقـفِ الهـولِ الشـديدْ

أقْـدِمْ علـى الخَصْـمِ العَنيـ ـدِ يَحُوطُـكَ الجيـشُ العتيـدّ

مُسْـتَلْهِماً وَحْـيَ الفقيـدِ فإنـه وَحـيُ الخُلـودْ

إنَّ الحيـاة لِمـن صَحَـا ليسـتْ لِعُشَّـاقِ الهجُـودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هـــي هذه الذكـــرى لثالـــثِ عامِ حَثّـَـتْ رَكائبَهـــا يـــدُ الأيـــامِ؟
هي هذه ذكـــرى الخُلُـــودِ ورَمْزه وشـــعارُه الباقي علـــى الأعوامِ
ذكـــرى البُطولةِ والزمـــانُ يَحفُّها بجلالـــه فتجـــلُّ في الأفهـــامِ
جـــاءتْ تُحَدّثُ في جَـــلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفـــةً بمـــرارةِ الآلامِ
بَيْنَـــا تُذَكّـــرُ بالحيـــاة إذا بهـــا تَرْنُـــو مُحَدّثـــةً بِطَـــرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألـــوانِ تعَصـــفِ تَارةً وتعـــودُ هَامِســـةً بَوحْـــي سَـــامِ
هي كالخلـــودِ المحض غـــيرَ محددٍ وهـــي اليقـــيْنُ يَبُـــضُّ بالأحلامِ
وهي النفـــوسُ حَيالَهـــا في رَوْعة أخّـــاذَةٍ مَســـحورةِ الإلْهـــامِ
مَشْـــدُوهَةً مـــا إنْ تَفيـــقُ وحولَها زُمَـــرٌ مـــن الأشـــباحِ والإلهـــامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَـــاعِرَةً الحَشَا في غمـــزةٍ تَطْغَـــى وفيـــضٍ طامِ
هي هـــذه الذكـــرى وذاكَ جَلالُها تَحْنـــي لِرَوْعتهـــا أعـــزٌ الهـــامِ

* * *

أمْضَـــتْ ثلاثـــاً كالقـــرومِ طويلةً سُـــودَ المفارقِ جُلِّلَـــتْ بقَتَامِ[2]
عَصَفَـــتْ بمصرَ الحادثـــاتُ كأنّها كانـــتْ مُهَيَّـــأةً علـــى الأقـــدامِ

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

ومَشَــتْ بها هُوجُ الرِّيــاحِ جرِيئةً تَجْــري لغايتهــا بغــيرِ زِمــامِ

وعَلَــتْ بؤوسٌ كــنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ مــن عِــيرٍ بــكلِ مَقَــامِ

هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأســرعُوا وهــم ارتضَوْا من دَهْرِهم بحُطَامِ

ودَعَاهُم الوطنُ الكــريمُ فأعْرَضُوا وتَســلَّلوا للخَصْــمِ غــيرَ كِرَامِ

هدمُــوا من الدســتورِ ركناً قائماً وتعلّلــوا بالــزُّورِ والأوْهَــامِ

وتَصيَّــدُوا للشــعبِ كلَّ مَســبَّةٍ كيْــدَ العــدوِّ وطعنــةَ الأخْصَامِ

لولا جــلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهِــم مُستَبْشَــعَ الآثَــامِ!

* * *

يا ســعدُ والذكرى تُثِيُر شــجوننَا وتَهدُّنَــا بالعــزمِ والإقْــدامِ

وتُطِــلُّ روُحُكَ في جــلالٍ صامتٍ يُــزْرِي بــكلِّ إشــارةٍ وكلامِ

يا ســعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَــةً مِنْهــا تقــومُ بواجــبِ الإكْرامِ

وتَــزُفُّ أنفــاسَ النَّســيمِ رقيقَةً تَسْــرِى مــزودةً بــكُلِّ سَــلامِ

يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلِّ تِمثــالٍ هنــاك مُقــامِ!

إنّ الــذي يحــيى مَشَــاعَر أُمَّــةٍ تحييــه بــالأرْواحِ لا الأجْســامِ

* * *

يــا أيُّهــا الثَــاوِي وفي تــذكارِه وَحْــي الخلــودِ وآيــةُ الإلْهامِ

اليــوم تُذْكَــرُ والجَــلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَــاجِىَ الأنغامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيّبٌ ... عنا وذكرُك في المشاعرِ نامِ

إنّا فَقَدْنا بافتقادِك طلعةً ... وبَقِيتَ ذكرى خُلّدَتْ بِدَوامِ

في كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقيةٌ ... وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ[1]

هذا هُو الشعبُ الذي خَلّفَته ... وسطَ الطريق مُيمماً لأمامِ

هو لا يزالُ مُجاهداً كعهودِه ... هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا ... إلاًّ ولم يَسْتَمْسكُوا بِذِمامِ

فهم البُغَاثُ جَليلُهم وحقيرُهم ... وهُم الذّئابُ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ ... أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزَامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى ... يقفُو خُطاكَ فكانَ أخْلصَ حَامِ

قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما ... تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبَة العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضي بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانً الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثُة الحرَّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَــجِّلي يا أرضُ وارْعَــيْ يا سماءْ   مَصْــرَعَ الجبــارِ بــيَنَ العُظُماءْ

مَصْــرَعُ الجَشَّــامِ مــا إن يَنْثَنِــي   أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]

يقــفُ الهــولُ لديــه خَاشِــعاً   وهــو يَلْقَى الهولَ بَسَّــام الرِّضَاءْ

* * *

نــالَ منه المــوتُ ما لَمْ يســتطعْ   نَيْلَــه الغُصَّــابُ في سَــبْعٍ وِلاءْ

عَذّبُــوه   ونَفَــوه   ومَضَــوا   في فنــونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَــاءْ!

أرســلُوه حيثُ وادِي المــوتِ إذْ   لا يَــرى الأحياءُ أطيــافَ الرَّجَاءْ

في مَبــاءاتِ تُــدوِّى بَيْنَهــا   جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]

تَصْفُــرُ الرِّيــحُ بهــا مُعْوِلــةً   تنــذرُ الأحيــاءَ فيهــا بالفنــاءْ

وأرادُوا   والمَنَايــا   حَوْلَــه   أن يُذِلُّــوا فيــه تلــك الكِبْريَاءْ

فمضَــى يَأْنَــفُ في سُــخْريةٍ   عيــشَ ذُلٍّ هُــو والموتُ سَــواءْ

لم يقلْهــا: لَفْظَــةٌ، لــو قالَهــا   لَقِــيَ النّعْمــاءَ مِنهــم والــوَلاَءْ

* * *

ليــتَ أهلَ الأرضِ يــدرونَ بما   صنــعَ الغُصَّــابُ بالنفــسِ البَراءْ

أتُــرى   أنْعَتُهــا   وَحْشِــيةً   في ظَــلامِ الكهفِ لَمْ تــدرِ الضيِّاءْ؟

أظْلِــمُ الوحــشَ إذا شَــبَّهتُه   بوحــوشِ الغَــربِ تمتــصُّ الدِّمَاءْ!

١-الجشّام: المتقحّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِــكُ الوحــشُ لِيحيَــا بينما يَفْتِــكُ الغــربيُّ حُبَّــا في الثَّــرَاءْ!

يا شــبابَ الشــرِق هذا موقفٌ تَقْشَــعِرُّ الأرضُ منــه والســماءْ

ودمُ المختــارِ مــا زالَ نــد يْاً يســتحثُّ الخَانعــينَ الضُّعفَاءْ[1]

وضَحاياالأمسِ والأمسُ نذيرُ اليــ ـــومِ يدعُو مَــنْ يجيبــونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشــرقِ والشرقُ إذا لم تكونُــوا جُنْــدَه ضَــاعَ هَبَــاءْ

لا يــردُّ الحــقَّ قــولٌ فَــارِغٌ تَذْهَــبُ الرِّيــحُ به عَصْــفَ الهواءْ

إنْمــا يُجْــدِي جِهَــادٌ عَــارِمٌ وخِصَــامٌ ونِضَــالٌ وعَنَــاءْ

إنمــا يُجْــدِي إذا نَبْعَثُهــا كهــزيمِ⁹⁵ الرعدِ تَــدوِي في الفَضَاءْ

إنمــا يُجْــدِي إذا مــا أيْقَنُــوا أننــا كالغَــربِ قــومٌ أقْويــاءْ

* * *

يا شــبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتــم حيــثُ يُحييكُــم دُعَــاءْ؟

يــا شــباباً نَاعمــاً مُسْــتَأنثاً كَذواتِ الخِــدرِ في ظِــلِ الخِبَاءْ![2]

يــا شــباباً تافهــاً مُحْتَقَــراً تأنــفُ الأجيــالُ منــه في ازدرَاءْ

يــا شــباباً هَمُّــه لَذّاتُــه فهــو يَحيــا بــينَ كأسٍ وخَنَــاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يــا شــباباً قَصُــرَتْ آمالُــه كخَشَــاشِ الأرضِ مَرمَــاه الغِــذَاءْ

يــا شــباباً نُكِــبَ النيــلُ بِه في الأَمانِــي والتَّعــلَّاتِ الوِضَــاءْ

يا شــبابَ النيلِ هَــلْ أبْصَرْتُمو في فَتى الســودانِ كيفَ الشُّــهداءْ؟

عُمْــرُ الإِيمــانِ بالحــقِ لــه مهجةٌ حَــرّى فجــادتْ بالفِــدَاءْ

يــا شــبابَ النيــلِ هــذَا مَثَلٌ لجــلالِ المــوتِ في ظِــلِّ الإبَــاءْ

مــا يقولُ الشِّــعْر في هــذَا ومَا حيلــةُ الشّــعرِ؟ وما طَــوْقُ الرثاء؟

موقفٌ جَــلَّ عن الشــعرِ فَهَلْ يُكْمِــلُ التاريخُ بَــدْءَ الشُّــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأستارُ فيها. وقبرُك كعبةٌ ومَنَارُ
في كلِّ مطَّلعٍ وكلِّ ثَنيةٍ ذكرى تَزاحَمُ حولَها الأفْكَارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ[٦٠] الأيامُ وهو مُوطَّدٌ يعنُوالخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَم يُنيفَ على الورَى ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلِّه الأقزامُ والجبارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من سعدٍ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ؟
هل كانَ إلاّ في العظائمِ مَوْئلاً في يوم تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ
تَذْوِي حَواليه الخطوبُ وتَنْثَنِي كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُه وتَرَاخَتْ الأخْطَارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَمَّ كأنّه المِقْدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها وصروفِها، وتَحُفُّها الأسرارُ
رُوح البطولةِ والبُطولةُ طَلْسَمٌ كالسحر تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها لما دَعَا سعدُ الجموعَ فثاروُا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى   مــوجٌ أشــمُّ أحــمُّ؟ أمْ تَيــارُ

ســحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبها   يُذْكِــي النفــوسَ فكلُّهــا مِغْوارُ

ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً   وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدهــا وتَغارُ

هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تكُنْ   تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثَــارُ!

ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى   بإزائهــا الأحقــادُ والأوزَارُ

ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ   فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ

فلتَعْــنِ للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ   الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَجّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصرع النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]

سَجّليه بمدادِ الفخرِ لا بلْ بفيضٍ من دِمَاءِ الشُّهداءْ

مَصْرعُ الآسادِ في آجَامِها لا كما تَلْقَى مَنَايَاها الظِّبَاءْ!

سَجّليها رَوعةً قد مُزِجَتْ من أسَى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايا المجدِ في مَذْبَحِه يلتقي اليأسُ عليها والرَّجاءْ!

وهي القُرْبانُ يَفْدِي أُمةً إيه ما أكرَمه هذا الفِدَاءْ

* * *

دَوْماً والريحُ في مُعْتَرَكٍ صَاخِبِ الأنواءِ، مشؤوم العُواءْ

وظلامٌ في ظَلامٍ مُبْهَمٍ يَخْشَعُ الهولُ لديه والفَنَاءْ

طَامِسُ الآثارِ مجهولُ الخُطَا لا دليلَ، لا شُعَاعَ؛ لا ضِياءْ

وهما في جَوْفِه تَحْدُوهُما هِمَّةٌ قَعْسَاءُ تأبَى الانْزِوَاءْ

يَلْطُمانِ الريحَ إمّا لَطَمَتْ ويَروغانِ كأطيافِ الهَواءْ

أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُما حُبُّ العلاْ وأرَادَها حياةً في السماءْ

قد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ ما كانَ؛ سُبحانَك تُمْضِي ما تَشَاءْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- هذا البيت للمؤلف في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيــهِ يــا مِصْــرُ عــزاءً إنّمــا أنــتِ أولَــى بالتحيــاتِ الوِضَاءْ

قــد بذلــتِ اليــومَ مــا تَبْذُلُه أمــةٌ شَــاءتْ حيــاةَ النُّبَــلاءْ

أمــةٌ قَــدْ أعلنــتْ قِســمتَها من صميمِ المجــدِ بينَ القُسَــمَاءْ!

ودمٌ يُهــراقُ في تَضحيــةٍ ســوفَ يَسْــرِي نخوةً بــينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يديه،
وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ

وقد غابَ لألاؤها في العيون فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ

وقد سَكَنَتْ نَأمةٌ في حَشاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ

فَيا قُرْبَها لَحْظةٌ في الزّمانِ ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ

وتَنْقُلُ من عالمٍ صَاخبٍ إلى عالمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمِ الحياةَ هُنا مَأتَماً وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ[1]

وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بِأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ

فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ كموتِ الفَتى حادثٌ مُرْهِقُ

هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ

قَد انْدَحَرَتْ في صِراعِ الرَّدَى فحقَّ لَها كُلُّ ما تَحْنَقُ!

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨.

١- تني: تضعف.

وتَرْجُـــفُ في كلِّ حَــيّ إِذَا أصَـــابَ سِـــواه الــرَّدَى المُزْهِـــقُ

أشِــعّتُها في جميــعِ النفــوسِ يُرقْرِقُهـــا مَصْـــدرٌ يَألَـــقُ

فـــإن مَسَّـــه مـــا يَغُـــضُّ الضياءَ تَذَبْـــذَبَ لألاؤُهـــا المُشْـــرِقُ[1]

فيـــا دَمْعَـــةً رَقْرَقَـــتْ في العيون لأنــتِ الحيـــاةُ هَمَـــتْ تَدْفُـــقُ

يَعِـــزُّ على النفــسِ فَقْــدُ الحياةِ فَتَجْـــزَعُ للمـــوتِ إِذْ يَطْـــرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّديــني مِــنَ الرَّجــاءِ الأصيلِ مُشْــرِقاً فيــكَ في المُحَيَّــا الجميلِ
أَنْــتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْــرِ ودُنْيــا مِــن السَّــنا المَعْسُــولِ
خفَّــةُ الطَّيْرِ وانطِــلاقُ الأماني بعــضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّــيولِ
وَهَــجٌ يُبْهِــرُ النُفُــوسَ ويُزْكي خَفَقَــاتِ القُلــوبِ عِنــدَ المُثولِ
ذَخَرَتْــكِ الحيــاةُ كَنْــزَ حَيَــاةٍ ورَصيــداً لِمَالِهــا المَبْــذُولِ!

* * *

زَوِّديــني لَــكَادَ يَنْفَــدُ زَادي في صِــرَاعٍ مِــنَ الحيــاةِ طَويــلِ
كادَ يَخْبُــو المصبْــاحُ إلاّ بَصيصاً فاسْــكُبي الزيتَ في بَقَايــا الفَتيلِ
كُنْــتِ كالجَــذْوَةِ المُشــعَّةِ نُوراً وهــي اليــومَ في طَريــقِ الأُفُولِ
فيــكِ زَادٌ يَقُوتُنَــا ويَقِينَــا عَثَــرَاتِ الطريــقِ بَــينَ التُّلُــولِ
أنْتِ لا غيرُكِ القَديــرةُ أنْ تُزْكي حَيــاةً بِخَاطِــرِي ومُيولِــي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْــرُ نَفْســي بِرَجَــاءٍ مُشَعْشَــعٍ مَوْصُــولِ
وأرَى عِبْئِــي الثقيــلَ خَفِيفــاً وأرى نَاهِضــاً بِعِبْئِــي الثَّقيــلِ
وكَأنّي استَشْــعَرْتُ رُوحَ شَبابِي وَرَجَّعْــتُ الزَّمَانَ صَعْــبَ القُفُولِ
فَأعيــدي إلَى مَاضِــيَ عُمْــرِي واغْمُرِيــه بالبِشْــرِ والتَأميــلِ
واطْلُعــي في قِفَارِ نَفْســي حياةً وإذَا مَا دَجَــى عَالَمي أوَ مضي لِي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضِـــي عينيك قـــد آنَ الأوانُ   ودَعِيـــني   نهبــةً   للشـــجَنِ

وَأمَنْـــي دُنيـــاك في آتِـــي الزمانِ   ودَعِينِـــي   لُعْبَـــةُ   للزَّمَـــنِ!

* * *

هـــذه كَفِّـــي وقد مـــرّتْ عليكِ   في حَنَـــانٍ وارتيـــاعٍ وولُـــوعِ

لم تَحُسِّـــيها ولم يَنْبِـــضْ لديـــكِ   قلبيَ النابـــضُ من بـــينِ الضُلوعِ

* * *

هـــذه الكفُّ الـــتي كَـــمْ دَلَّلَتْكِ   وسَّـــدَتْكِ اليومَ أطبـــاقَ الثّرى[1]

أيَّ حاليْهـــا تُرى أحنَـــى عليكِ؟   ليتَـــني أدْري. ومَـــن فينـــا دَرَى؟

* * *

ذلـــك الصَّـــوتُ الـــذي تَرْتَقبِينَ   قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحجَابْ

قـــد دعـــاكِ. إنّمـــا لا تَسْـــمَعينَ   أُسْـــدِلَ السِّـــتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢.

١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أَنَا يا «نُوسـةُ» والعهـدُ قريبٌ   مُوحِـشُ النفسِ شَـجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قـد خَلا في ذلكَ القلـبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مـن حَياتـي مَوْضِعـاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مـن دونِـه أو مَا يَليه   غربـةٌ تَقْسُـو علـى مُغْتَـرِبِ

* * *

إنـي أبْكيكِ يـا ظلَّ الشـبابِ   إنـي أبكيـكِ يـا طيـفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالـتْ على خيرِ اصطحابِ   لَـكِ عَطْفِـي ولَي الـودُّ المكينْ

* * *

لم يكـن ودَّ بُطُـونٍ وطعـامٍ   إنمـا وُدُّ اصطحـابٍ ووَفـاءِ
طَالَمَا آثَـرْتِ إنْ غِبْـتُ الصيامَ   أو تَلُوذِيـنَ بِصَمْـتٍ وانْـزِوَاءِ

* * *

فـإِذَا عُـدتُ فَوَثْـبٌ ومُـواءٌ   نَاطِـقٌ بالشـوقِ أو بالفـرحِ
وألاَعِيـبٌ وخَمْـشٌ والْتِـوَاءٌ   وتَثَـنٍ   نَاطِـقٌ   بالمَـرَحِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتنـي عَـذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعٍ حـينَ أمْضِـي أو لِقَـاءْ
في صبـاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَـاءٍ   بوثُـوقٍ   واعتـدادٍ   وذَكاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْـــتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ   لا تطيقــينَ شَــريكاً أو شَــبيهاً
طالما وَطَّــأتِ في حِجْــرِي مَهْدَكِ   فَعْلَــةُ الطفلــةِ في حُضْــنِ أبِيَها

* * *

كنــتِ لي كلّكِ في هــذي الحياةِ   أيــنَ مَنْ ألقَــاه فيها لَــي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَــنْ ألْقَــى لــه فيها هَــوَاهُ   ولــه آمَالــهُ فيهــا وشُــغْلُهُ!

* * *

قــد خَلا حُضْنِي وكَفّــي وذِرَاعِي   قــد خَلا قَلْبِــي مِنْ هَــذا المَتاعِ
مُنْــذُ دَعا المــوتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ   مَــنْ دعَــاه لم يُعقّــبْ لِــوَدَاعِ

* * *

أنَــا يا «نُوســةُ» أمْضِــي والليالي   وخَــواءُ المــوتِ يَغْشَــى عَالَمِي
رَسْمُكِ الشَّــاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْــمٍ في ضمــيرِ الحَــالِمِ

* * *

وخَيالاتُــك   في   كلِّ   مَــكانٍ   شَــاخِصَاتٍ تَتَــراءى للعَيــانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ علــى خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنــتِ وقَــدْ كَانَ وكانْ

* * *

هــذه أنْــتِ إلى حُضْنِــي أوِيْتِ   هــذه أنــتِ أمامِي قَــد رَبَضْتِ
هــذه أنتِ علــى صَــدْرِي وَثبْتِ   لهفَ نفســي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُـــو الصبـــحُ فأيـــنَ الوَثَبَاتُ هـــذه كَفِّي فأيـــنَ اللّمسَـــاتْ؟
ها هـــو الأكلُ فأيـــنَ الهَمْهمَاتُ؟ أينَ أينَ؟ كلُّ ما قَـــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيـــنَ قطّاتُـــكِ في الحِـــرْزِ الأمينِ مَـــنْ دَنَـــا منهـــا عليـــه تَثبِـــيْن
غـــير أنّـــي لِـــيَ وَحْـــدي تأمنينَ وإِذَا مُسّـــتْ فَبي تَســـتَنْجدين؟

* * *

سَـــكَتَ الصوتُ وقـــد كَان غِنَاءً! سَـــكَتَ الوَثْبُ وقَـــدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتـــلاءُ البيتِ قد أمْسَـــى خَواءَ كلُّ مَـــنْ فيه قـــد اسْـــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هـــا هُنا كنتِ؟ أمَـــا هذا ضَلالٌ؟ وهَاويـــلُ خَمَّـــارٍ أو خَبَـــالْ؟
لم يكـــنْ شَـــيءٌ ولم يَطْـــرَأَ زوالٌ كلُّ مَـــا كَانَ خيـــالٌ في خيـــالْ!

* * *

ضَلَّـــةٌ للنـــاسِ في آمالِهـــا والمَنَايـــا رَابِضَـــاتٌ بالوَصِيـــد
زُمَـــر تَمضِـــي إلى أَجَالِهـــا والذي يَحيـــا يُرَجَّـــى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَفَّ الرِّثاءُ بخاطري المَفْجُوعِ وصَمَتُّ لا أفضي بغير دُمُوعِي

إني ذُهلتُ عَنِ المُصاب بوقعهِ حِيناً، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْدُوعِ

فَظَللتُ أنْصِتُ للرجاء، وأتّقي صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ

أيَمُوتُ؟ كَلاَّ! لا يموتُ وهذه مصْرُ تُرجِّي نَجْمَه لِسطُوعِ

أيموتُ والأحداث تَهْتِفُ باسمه أتكونُ تلكَ هُتافَةَ التوديعِ؟

قُلْ أيُّها النّاعي سِواه؟ فما أرى أنّي -- وإنْ جاهَدْتَني -- بِسَميعِ!

* * *

واويلتَاه! أإنّها الحقيقةُ جلّتْ عن الإيجافِ والترويعِ؟[1]

صمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً وتَحدَّثَتْ طعناتُه بِنَجيعِ[2]

مُتَفَجّراتٍ بالدِّماءِ كأنّها كلماتُه في قوةٍ ونُصوعِ

كلماتُه اللائي نَبَضْنَ بِقَلْبِه ودِمَاؤه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١- الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،وجف القلب: خفق،قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- النجيع: دم الجوف.

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياتِه ما بـالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَريعِ؟

يا مانِعَ الوادي العزيزِ بنَفْسِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

أَخَلا مَكانُكَ ليس يَمْلأُ رَحْبَه إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

أَخَلا مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأَتْ تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغي لِصَوْتِكَ هادِياً في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ - يا للهولِ - صَمْتَةَ واجِمٍ ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمِصْرَ ويا فَجيعةَ أهْلِها في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *



تبغونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقهُ

ولقد أخَذْتُم بالطريق فيمّموا

وهو الجهادُ حميّةٌ جسّامةٌ

ما إن تخافُ من الردَى أو تحجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ علـى الأيـام ألا تُهْزَمُوا فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدّمُ
في حيـُث تعتَبطُ الدِّمَـاء فأيقنُوا أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ولقـد أخَذْتُـم بالطريـقِ فيمِّمُوا
وهـو الجهـادُ حَمِيَّةٌ جشّـامة ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجِمُ
إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ فليمضِ طلابُ الخلـودِ ويُقْدِمُوا
وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هديةً فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذَا مُحْجِمُ؟
الشـرقُ يا لَلشِّـرقِ تلك دمَاؤُه والغربُ يا لَلغـربِ يُضْرِيه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا حرماته الكُبْرى وكيـفَ تَهجّمُوا
غرتُهمُو سِـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا يـا للذكاء! فكيفَ قـد غَرَّتْهُمو؟
سِـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا فليعلمُوا مَنْ نَحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليـومَ فَلْيَلِغُوا الدّمـاءَ وفي غد فَلْيَنْدَمُـوا عَنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ
مِصُـر الفتاة ومـا تَـزالُ فَتِيَةً تهفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنِيّـة نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتَضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العرض الشريف يثلم؟   ويسيل من حنق حواليه الدم؟

ومن الذي سام النفوس مهانة   يأبى ويأنفها الذلول الأعجم؟[1]

من كل ما عوراء تكشف جهرة   ويهان منها ما يصان ويكرم

وكرامة يشتط في تحقيرها   نذل حقير القلب لا يتأثم

في أيما بلد نعيش؟ وأيما   عهد يمر على الكنانة مظلم؟[2]

عهد نسام الخسف فيه ونبتلى   نقما إذا قمنا نضج وننقم

وحشية كشف الزمان حجابها   لا بل أشد من الوحوش وأظلم

الوحش يضل جائعا ويعف عن   فتكاته إذ ما يعب ويطعم

* * *

يا أيها الرفقاء بالحيوان لا   تنسوا أناسيا تئن وتألم

في مصر قد تلقى الكلاب رعاية   بينا يحقر شعبها ويحطم!

في مصر لا يلقى المسيء جزاءه   لا بل يكافأ دونه ويكرم

في مصر ما لا يحفظ التاريخ من   فحش يعج بها وفحش يكتم

في مصر! لو في مصر بعض كرامة   غضبت وفار على جوانبها الدم!

* * *

ماذا يعز على الهوان نصونه؟   لم يبق من حرماتنا ما نكرم!

الموت! يا للموت! أشرف شرعة   مما نسام به ومما نوسم

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- الذلول الأعجم: الحيوان.

٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّـتْ الدُّنيـا فمـاذَا تَرْتَقِبْ   مِصرُ مـن أهوالِها حـتى تَثِبْ؟
ضجَّـتْ الدنيا من الهـولِ الذي   تـركَ الدنيـا جميعـاً تَضطربْ
فَـارَ مـاءُ النيـلِ أو صَـارَ إلى   حُمَـمٍ أو نِقْمَـةٍ مِنْـه تُصَـبْ
وأرى مِصـرَ تُعـاني سَـكْرةً   وإذا تصحُـو تولـتْ تَنْتَجِـبْ؟
مِصر. يا مصـرُ. وما يُجْدي البُكا   غضبةٌ يا مصـرُ كاللَّيـثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصـرُ. أو. لا. فادْرُجي   في قيـودِ الذلِّ وارضَـىْ بالحَرَبْ

* * *

أفهـذِى مِصـرُ أم مـاذا أرى؟   أمـةٌ أُخـرى وشـعبٌ مُنْقلبْ
أم تُـرى الأيـامُ دارتْ دورةً   فـإذا الأسْـدُ شِـياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنـا مِصرَ تُمطِـي ظَهْرها   كَذلُـولِ النُّوقِ مَنْ شَـاء رَكِبْ!
المَطَايـا حـينَ تَخْشَـى حَتْفَهَـا   تُعطِبُ السَّـائِقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْـرُ لَمّـا غَضِبَـتْ غَضْبَتَهـا   لَـمْ يَرُعْها الغربُ لمـا أنْ غَضِبَ
أرسـلَتْها صَيحـةً داويـةً   كهـزيمِ الرعدِ جَيَّـاشَ اللَّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالَمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ

وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً تتمشى فيه كالرُّعْبِ يَدُبْ

لم تَرُعْنا هَجْمَةً مِنْه على رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ

سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدبْ

وَوَعاها الدهرُ في آثارِه جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مصرُ ذِكْرى فاذكُري ما تولّى وادأبي خيرَ الدَّأبْ

أرجعي الكَرّةَ لا هَيّابَةً واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـا هُتـافٌ ثَـمَّ في كلِّ مـكانْ ما دُعـاءٌ ثَـمَّ في كلِّ لسـانْ؟
مـا نَشـيدٌ تسْـكُبُ الدنيـا به أعذبَ الألحانِ في سَـمْعِ الزمانْ؟
ما شـعورٌ فَـاضَ كالوحْـيِ هَفَا فهفَا الشـعرُ علـى كلِّ جنانْ؟
مـا ابتهـاجٌ وسُـرورٌ ورِضَـا وانطـلاقٌ في التمنِّـي والأمانْ؟
مِهْرَجـانُ العـرشِ والشـعبِ مَعاً عـاشَ فـاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـال لي الدهـرُ – وقَـدْ راودتُه عَـن خَفَايـاهُ فأفْشَـى وأبانْ:
لَيـس كاليـومِ جَمـالاً وسَـنَىً منـذُ مـا كان زمـانٌ ومـكانْ
لَيـس كاليـومِ ابتهاجـاً ومُـنى منـذُ مـا كانَ ابتـداعٌ وافتنانْ
غـيرُ يومـين وإنِّـى حَافـظٌ في سِـجلِّي كلَّ مـا كان وبـانْ
يـومُ ميـلادٍ وفي يـومِ ارتقـى عرشَـه السَّـامي فأعـلاه وزَانْ
ثم هـذا اليـومُ يـومُ المِهْرَجـان عـاشَ فـاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـتَ يـا فـاروقُ خـيرٌ خَالصٌ بيتما الخـيرُ مشـوُبٌ في الزمانْ
مـن ضميرِ الشـعبِ مِـنْ يقظته مِنْ منـاهُ مِـنْ أغانيه الحِسَـانْ
صاغـكَ اللهُ سـناءً وسـنَى صَانـك اللهُ وأعطـاكَ الأمانْ!!
صَانَـكَ اللهُ. فَإنَّـا أُمَّـةٌ تَقْـدرُ المُحْسِـنَ في غـيرِ امتنانْ
كلّ يـومٍ أنـت فيـه مِهرجـان عاش فـاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنــت فِي مِصــر قُــوىً كامنـــةٌ منذ كانت مصرُ شــعباً ذا كيانْ

يُســـلِمُ الجيـــلُ إلى تابعـــهِ هــذه القـــوةَ تَذْكُـــو وتُصـــانْ

والليـــالي مُرهِصَـــاتٌ والدُّنـــا تَرْقُـــبُ الميـــلادَ آنا بعـــدَ آنْ[1]

ثمُ شَـــبَّ الشَّـــعْبُ في نهضتـــه ناضـــجَ الفِكْرَةِ مشـــبوبَ الجَنَانْ

فـــإذا فـــاروقُ في طَلْعَتِـــه هتفُ البشـــرى على كلِّ لِســـانْ

ثم كان اليـــومُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاش فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنــت صِنْــوُ الشــعبِ في تاريخه كنــتَ منه في الأمانــي يومَ كانْ

قـــد توَافَى مَولِدُ النهضـــةِ والمَولدُ الضَّاحـــى، فوافت بُشْـــرَيانْ[2]

حِكْمـــةٌ هَـــذا التَّوافـــي عَجَـــبٌ شَـــاءها الله فجـــاءتْ في الأوانْ

ثم وَافِي اليـــومُ، يـــومُ المهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـــا صديقَ الشـــعْب قُـــدْ نَهْضتَه في ســـباقِ الكونِ يَظْفَـــرْ بالرهانْ

ولـــه مِنـــك شـــبابٌ طَامِـــحٌ يبعـــثُ الجَـــرأةَ في قَلـــبِ الجَبانْ

كلُّ قلـــبٍ حـــينَ تدعُـــو هاتفٌ: إيـــه لبيـــكَ، إلى شَـــطِّ الأمـــانْ

إيـــه لبيـــكَ، وفيـــه نَشْـــوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّـــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.

٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيــه لبيــكَ، وقــد طَهّــره حُبُّــك السَّــامِي وروّاه الحَنَــانْ
كلُّ قلــبٍ خافــقٌ بِالمهرجــان عــاشَ فــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَــعْ النَّغْمــة في قِيثَارتــي وحيُــك العَذْبُ فجــوَّدتُ البيانْ
وجَــرى الشّــعْر وفي نَكْهَتِــهِ من معانيك شــذَى عَرْفَ الجِنَانْ
فأنــا الشَّــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَــرِيٌّ الوَحِي ذَاكِــي الافتنانْ
وأنــا الشــاعرُ آفاقِــي سَــمَتْ فَسَــمَا مِنّــى بيــانٌ ومَعَــانْ
وأنــا الغريــدُ يــومَ المِهرجــان عــاشَ فــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *



أخي إنْ نمُتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَةِ والدَّجل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق(١)
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجِل
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَل: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيِّاءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتِحٌ... هُوَ عَبْقَوِيٌ مُلْهَمْ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومُعَلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخِيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفةً فَصَدَّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنّما الأحرار في هذا الزّمانِ هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السّجْنَ الرّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغيةٍ نهايَةْ
وَلكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبْلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ
* * *

أخي*

أخي أنـــتَ حُرٌ وراء السُّــدود أخي أنـــتَ حُـــرٌّ بتلــكَ القُيودْ

إذا كُنْـــتَ بـــالله مُســتعصِماً فمـــاذا يَضــيُرُكَ كيـــدُ العبيـــد

* * *

أخـــي سَـــتبيدُ[26] جُيـــوشُ الظَّلام وَيُشـــرِقُ في الكَـــوْنِ فجرٌ جديد

فَأطلِـــقْ لِرُوحِـــكَ إشـــراقَهَا تَـــرى الفَجْـــرَ يرمُقُنا مـــن بعيد

* * *

أخي قـــد أصابَـــكَ ســـهمٌ ذليل وغَـــدْراً رَمـــاك ذِراعُ كَليـــل

سَـــتُبْتَرُ يَوْمـــاً فَصَبْـــرٌ جميـــل ولم يَـــدْمَ بعـــدُ عريـــنُ الأســـود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء أَبَـــتْ أن تُشَـــلَّ بِقَيْـــدِ الإمـــاء

سَـــتَرْفَعُ قُربانَهـــا... للسَّـــماء مُخَضَّبَـــة بوســـامِ الخُلـــود

* * *

أخي هل تُـــراكَ سَـــئِمْتَ الكِفاحِ وألْقَيْـــتَ عن كاهِلَيْكَ السِّـــلاح

فَمَنْ للضّحايا يواســـي... الجِراح ويرفـــعُ رايتهـــا مِـــن جديـــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب   تَــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ   أحشـــاءه   بالحِــرابِ   وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس   أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَواس
غَـــداً سأشـــيخُ بفـــأس الخَلاصِ   رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيّ الدُّموع   وَبَلَّلْـــت قَبري بها في خُشـــوع
فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتِي الشُّـــموع   وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا   فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا   رَفَرَفَـــتْ   حَوْلَنـــا   فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السّـــلاح
وإن طَوّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام   فَإنّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي   إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني   فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ علـــى إثْرِنـــا وَفَـــوْجٌ علـــى إثْرِ فـــوجٍ جَديد
فـــإنْ أنـــا مُـــتُّ فإنّـــي شـــهيد وأنَتْ سَـــتَمْضِي بنصـــرٍ جديد

* * *

قَـــدِ اختارَنـــا الله في دعوتِـــه وإنّـــا ســـنمضي علـــى سُـــنَّته
فَمِنَّـــا الذيـــن قَضَـــوْا نَحْبَهُـــم ومنّـــا الحفيـــظُ علـــى ذِمَّتِـــه

* * *

أخـــي فَامْـــضِ لا تَلْتَفِـــتْ للوراء طريقُـــكَ قـــد خَضبَّتْـــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِـــتْ هَهنـــا أو هُنـــاك ولا تَتَطَلَّـــعْ لغـــيرِ السَّـــماء

* * *

فلســـنا بطـــيرٍ مَهيـــض الجَنَـــاح ولـــن نُسْـــتَذَلَّ ولن نُسْـــتَباح
وإنّـــي لأسْـــمَعُ صـــوتَ الدِّماء قَويًّـــا يُنـــادي الكِفَـــاحَ الكِفَاح

* * *

سَـــأثْأرُ لكـــنْ لِـــرَبٍّ وديـــن وأمْضـــي علـــى سُـــنَّتي في يَقين
فإمّـــا إلى النَّصـــرِ فَـــوْقَ الأنَـــام وإمَـــا إلى الله في الخالِديـــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه –فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية –مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء —كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة —وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي — أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم — في رأيه — ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١٩٤٨/١١/٣ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب — في قوة التعبير

وحيويته – ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

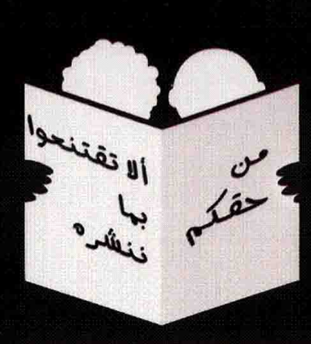
٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

الدراية لا الرواية 2008



إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافى- الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي

